الملامح الاسلامية في شعر علي بن الجهم

د . مجاهد مصطفى بهجت
كلية التربية / جامعة بغداد

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين (محمد) وعلى آله وصحبه أجمعين : وبعد : فتقوم هذه الدراسة في حقل أدب العصر العباسي الاول بتناول شعر علم من أعلامه من الزاوية الاسلامية .

وليس همُّ البحث منصباً على دراسة حياة الشاعر بصورة مفصلة مستفيضة فقد سبقت بحوث متخصصة وفت بهذا الغرض إنما تبغى هذه الدراسة أن تسلط الضوء على جوانب من حياة هذا الشاعر ، والكشف عن أبرز معالمها ذات العلاقة باتجاه البحث . ثم العناية الكبيرة بأغراض شعره الاسلامية الخالصة ، وتتبع الآثار الاسلامية في أغراضه التقليدية العامة .

ومن أجل ذلك جاء البحث بقسمين : تناول القسم الاول منه نشأة ، الشاعر ، ومذهبه وأخلاقه ، وثقافته وشاعريته ، وعنى القسم الثاني بدراسة شعره الاسلامي في اتجاهين : الاول : اغراضه الاسلامية الخالصة المتمثلة في شعره العباسي ، والمذهبي وشعر الاخلاق والآداب الاسلامية ، وشعر الجهاد والحماسة الاسلامية . والثاني : الآثار الاسلامية في أغراضه التقليدية مديحا وهجاء ورثاء وغزلا . ثم وقف أخيراً على ظاهرة بارزة في شعره وهي الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم . ومفهوم الالتزام في شعره .

وإني لارجو أن يكون البحث وافياً بالغرض والهدف المرجو ، مجانباً الزلل والخلل . والحمد لله رب العالمين .

حيـاتـه :

أ ـ نشأته :

علي بن الجهم بن بدر بن الجهم، قرشي من ولد سامة بن لؤي ، أثير الشك حول صحة نسبه لقريش على أثر الخصومات السياسية (١) .

وقد نشأ في أسرة كريمة وجيهة يقف على أعتابها الشعراء، فعمّاه عثمان وادريس ابنا بدر، ووالده الجهم تولى للخليفة المأمون بريد اليمن وطرازها كما ولى للواثق أحد جانبي بغداد والشرطة، وكذلك ولى اخوه محمد للمأمون إمرة دمشق .

ترعرع الشاعر في بغداد، واختلف على المعهود من عادتهم ـ إلى أحد الكتاتيب ليتلقى القرآن الكريم .

ودرج ببغداد في عصرها الذهبي حيث الحركة الادبية الواسعة والنشاط العلمي الكبير، فتردد على مجالس الادباء واختلف الى مجامع الشعراء، والتقى بفحولهم أمثال أبي تمام والبحتري ...

وقد أتيحت للشاعر في بيئته الخاصة ـ بكنف أبيه وعمه ـ فرصة علمية كبيرة ، كما وجد في بيئته العامة التي أحاطت به ما ساعده على ذلك، فنال حظاً كبيراً من الثقافة والعلوم والآداب .

وقد عاصر الشاعر من الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. وشهد في هذا العصر الصراع السياسي الكبير بين العباسيين والاحزاب الأخرى. فعرف بميله لبني العباس وموادته لهم ضد العلويين والمذاهب الاخرى. كما اتخذ موقفاً محدداً في الحرب الفكرية التي وقعت بين المعتزلة وأهل السنة وذلك بتأييده للطائفة الثانية ودفاعه عنهم، ومخاصمته أعداءهم .

---

(١) راجع نسب قريش ٤٤٠ ، تاريخ بغداد ٢٤٠/٧ ، ومناقشة الدكتور عبدالرحمن الباشا في كتابه علي بن الجهم حياته وشعره ص ١٧

ب ـ مذهبه واخلاقه :

عرف علي بن الهم بحسن تدينه وسلامة عقيدته واستقامته ورفعة خلقه(١)، أما مذهبه فقد كان سنياً متشدداً في تسننه(٢)، وهو من أهل الحديث ـ الذين يقفون على ظاهر الكتاب والسنة ـ ومن المعدودين في جملة المحدثين الذين يروون الحديث ويروى عنهم (٣) .

وهو على مذهب الامام أحمد بن حنبل (رضى عنه) زعيم أهل السنة وقد عُدَّ من رجال الطبقة الاولى من طبقات الحنابلة (٤) .

ولحرصه على سلامة دينه كان يعد مصيبة المرء في دينه أعظم المصائب فهو يقول :

مصيبةُ الانسانِ في دينه
أعظمُ منْ جائحةِ الدهرِ (٥)

فان تعدت وجاوزت دينه كانت نعماً فهو يقول عن نفسه :

إنَّ المصائبَ ما تعدتْ دينَهُ
نعمٌ ، وانْ صعُبتْ عليهِ قليلا (٦)

أما أخلاقه فقد كان علي بن الجهم من كلة الرجال (٧) ، صالح السلوك فاضلا ، يجنّب نفسه مواطن الريب ، ويتحاشى الوقوع في الشبهات ، فقد ورد عنه أنه قطع مجلساً ، وعزم على الانصراف منه . ولما سئل عن

(١) راجع فيه أقوال من ترجم له مثل تاريخ بغداد ٣٦٧/١١ ، وفيات الاعيان ٤٤١/١، البداية والنهاية ٤/١١ .
(٢) مروج الذهب ٦١/٤ .
(٣) لسان الميزان ٢١٠/٤.
(٤) طبقات الحنابلة ص ٢٢٣.
(٥) ديوان علي بن لجهم ص ٩٧ .
(٦) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٣ .
(٧) أخبار أبي تمام للصولى ص ٦٢ .

ذلك قال : «إنه بلغني شيء وأظنني مأزور في قعودي» (١) ، فكأنه تذكر شيئاً ينبغي أن يبادر اليه ، وهو يخشى إن لم يفعله أن يقع في الإثم .

كما كان مرهف الحس والشعور يحاسب نفسه ويخاف من حكم القضاء ، فهو يقول في ذلك :

انظرْ فعنْ يمناكَ وَيحكَ عالمٌ!!
يحصي عليكَ وَعنْ يسارِكَ كاتب
وأرى البَصيرَ بِقلبِهِ وَبفَهمِه
يَعمَى إذا حُمَّ القَضاءُ الغَالبُ(٢)

وهو يظهر الالتزام بالاخلاق الاسلامية سلوكا ، ويتجنب الحرام والمحظور من الامور كشرب الخمر مثلا فيقول :

وإيّاكما والخمرَ لاتَقرَبانهَا
كفَى عوَضاً عنها الشرابُ المعسّل (٣)

وفي دراسة شعره المذهبي وشعره في الاخلاق والآداب الاسلامية — فيما بعد — مايزيد الامر وضوحاً وجلاء .

ج — ثقافته وشاعريته :

لا نجد — فيما وردنا من أخبار علي — ما يكشف لنا عن شخصيته بصورة مفصلة وما يعرفنا به ويوضح لنا ينابيع ثقافته، كما لا نعرف أسماء شيوخه الذين تلقى عنهم ودرس عليهم، إلا إننا نلمس آثار هذه الثقافة في شعره، وذلك في صلة الشاعر الوثيقة بكتاب الله الخالد . واغترافه من ينابيعه الثرة واقتباسه من أنواره الساطعة حتى زخر ديوانه بتلك الآثار . واصطبغت معانيه بتلك الصبغة .

---

(١) الموشح . ص ٣٤٤ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ق ٣٠ ص ٩٣ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ق ٢٢ ص ٧٠ .

كما نلمس آثار السنة في شعره، ونجده يتمثل ويستشهد بالأحاديث النبوية. مما يدل على صلته الوثيقة بالسُنّة — بعد كتاب الله تعالى — ولا عجب في ذلك بعد أن علمنا مذهبه الديني وغيرته على السُنة تجاه أهل الكلام والاعتزال. حتى انه وسم إحدى غرر مدائحه لحامي السنة (المتوكل) بهذا الاسم فسماها السنيّة، إذ يقول في خاتمتها:

واسمعْ إلـى غرّاءَ سُنيـة
يَسطعُ منها المسكُ والعنبـرُ
مَوقعها مـنْ كُل ذي بـدعـة
موقعَ وَسْمِ النّارِ أو أكثـرُ (١)

وهكذا لا نجد في شعره — لغلبة المصدرين السابقين وهيمنتهما عليه — مظاهر وآثار الثقافة اليونانية التي غلبت على بعض شعراء عصره. وعلى أهل الاعتزال منهم خاصة.. بل نجد شعره ذا طابع عربي معتمد على أصول الثقافة العربية القائمة على الكتاب والسنة في المقام الاول.

اما شاعريته فقد تفتحت في وقت مبكر فسمع منه — وهو صبي صغير أول شعره، ثم أصبح من المتميزين البارزين في ميدان الشعر، فعرف بين الشعراء وتألق في سمائهم. فكانوا بين معجب به محب له كأبي تمام، وبين حاسد له حاقد عليه كمروان الاصغر.

أجمع القدماء على وصفه بالفصاحة والطبع وعذوبة الالفاظ وغزارة الكلام فقال فيه ابن المعتز: «كان علي بن الجهم شاعراً مفلقاً مطبوعاً. يضع لسانه حيث يشاء» (٢). وقال المسعودي: «كان مطبوعاً مقتدراً على الشعر عذب الالفاظ غزير الكلام» (٣). وقريب من ذلك رأي المرزباني حيث

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٧٦.

(٢) طبقات الشعراء ص ٣٢٠ وراجع وصف أبي الفرج الاصبهاني بالفصاحة والطبع الاغاني ١٠/٢٠٥.

(٣) مروج الذهب ٤١٠/٢ وراجع النص نفسه في وفيات الاعيان ٣٥٥/٣.

يقول : «وهو شاعر مطبوع عذب الالفاظ سهل الكلام مقتدر على الشعر» (١)

ويرى بعض المحدثين مظهر بعده عن التكلف والصنعة في إغفاله التصريع في كثير من مطالع قصائده (٢) ، ولم يكن عليٌّ مطبوعاً لاغفاله التصريع فحسب — إذ نجده لدى المطبوعين كذلك بل لغلبة الطبع على شعره سهولة ووضوحاً وعذوبة ...

ولم يكن ابن الجهم شاعراً فحسب، بل عرف ناقداً متذوقاً للشعر والادب حتى قيل فيه ما قيل في قرينه أبي تمام «ان علمه بالشعر أكبر من شعره» (٣)

ومن آرائه في الشعر ما قاله في خالد الكاتب حين أنشد له بيتان — وكان لا يعجبه كثيراً شعره — قال : قاتله الله! لقد أدمن الرمية حتى أصاب الغرّة» (٤). ويؤيد يعد نظره في الشعر وسداد حكمه الشاعر البحتري حيث يقول عنه «وكان علي بن الجهم عالماً بالشعر» وذلك حين حكم ابن الجهم على أشجع السلمي بـ «أنه يخلي» (٥).

الملامح الاسلامية في شعر ابن الجهم :

يعد ابن الجهم من أبرز شعراء التيار الاسلامي في العصر العباسي الاول، فقد انعكس اتجاه الشعر السياسي ومذهبه الديني على شعره، فطبعه بهذا الطابع ووسمه بهذه السمة المتميزة، وأنزله هذه المنزلة الرفيعة .

ولا يكاد قارىء ديوان الشاعر والدارس لحياته يجد صعوبة في الوصول إلى هذه الحقيقة والوقوف على آثارها ..

---

(١) معجم الشعراء ص ٢٨٦ وراجع النص نفسه في الابانة عن سرقات المتنبي ص ١٨٩.
(٢) راجع مطالع القصائد في الديوان ص ٢٨، ٣٧، ٤١، ٥٠، ٧٧، ٨٣، ومقدمة المحقق ص ٢٩ .
(٣) اخبار أبي تمام ٦٢ ، الموشح ٢٩٥ .
(٤) الأمالي ١/١٠٠ .
(٥) الموشح ٢٩٥ ، اخبار أبي تمام ٦٣ .

فديوان الشاعر يطفح بالمعاني الاسلامية التي كانت صدى للحياة السياسية، وذلك في الدفاع عن وجهة النظر العباسية في استحقاق الخلافة دون الجماعات الاسلامية الأخرى لانه يخالفهم. فمن المعقول ان يناصر اعداءهم، وهو أيضاً يزخر بمثل هذه المعاني في شعره السني الذي يواجه به المعتزلة، وينقض آراءهم؛ وديوانه – كذلك – يفوح بالقيم والآداب الاسلامية التي تحلى بها كما افتخر وامتدح بها. وعلى النحو نفسه نلمس في معاني شعر الجهاد والحماسة الاسلامية ذلك الطابع الاسلامي المتميز ..

وليس صعباً أو عسيراً أن نلحظ هذه الملامح الاسلامية في أغراضه الخاصة التي يكاد ينفرد بها، لاننا نجد هذه السمة الاسلامية تغلب على معظم شعره إن لم يكن كله ، بل نقف عليها ونلمسها في أغراضه التقليدية. ومعانيه المألوفة التي نظم فيها جلة الشعراء كالمديح والهجاء والفخر والرثاء . لذلك سأدرس الملامح الاسلامية في شعر ابن الجهم في اتجاهين ومسلكين : الاغراض الاسلامية الخالصة. والآثار الاسلامية في أغراضه التقليدية .

أ– الاغراض الاسلامية الخالصة :

أولاً : الشعر العباسي :

لم يفتر نشاط الاحزاب والمذاهب السياسية المنافسة لبني العباس سعياً وراء الخلافة وان كان قد أصبح أضعف مما كان عليه في الدولة الاموية، ولعل حزب الشيعة كان أقوى تلك الاتجاهات السياسية خاصة وقد كان أسهم بصورة أو بأخرى في ايقاد الثورة العباسية في بداية أمرها . كما شارك في بناء الدولة العباسية على أيدي الوزراء والأمراء الذين اعتمدت عليهم الخلافة العباسية أمثال أبي سلمة الخلال وأبي مسلم الخراساني. والبرامكة ...

وقد كان التنافس على أوجه وأشده في مستهل الخلافة العباسية، ثم ضعف بعد اخفاق ثورات الشيعة المتتابعة التي قامت في خلافة المنصور والمهدي والرشيد. وكاد بعضها يودي بالخلافة.

ويأتي شعر الشيعة معبراً عن حجج الفرقة المذهبية في جدارتهم بالخلافة وأنهم أولى الناس بها من بني العباس ، وقد برز في هذا الميدان السيد الحميري ودعبل الخزاعي ..

ويبرز بعض الشعراء العباسيين للرد على مقالته ودحضها ، وبيان ان بني العباس أجدر وأحق بالخلافة من الشيعة .. وقد عرف مروان بن أبي حفصة في هذا الميدان وتألق نجمه في قبة الخلافة العباسية بين يدي الخليفة المهدي، كما برز منصور النمري — الامامي في تشيعه — في حسن تأييده واحتجاجه للعباسيين ، ومثلهما سلم الخاسر، وأبان اللاحقي وابو تمام الطائي .

وأبرز محور يدور حوله شعر المذهب العباسي هو جدارة بني العباس — دون العلويين — بالخلافة محتجين بان العم أقرب نسبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من ابن العم ، وانكار وراثة ابناء البنت مع الاعمام وذلك كما قال النمري :

العم أولى من ابن العم فاستمعوا
قول النصيح فان الحق يستمع (١)

ويقول : وما لبني بنات من تراث
مع الاعمام في ورق الزبور (٢)

ويقول أيضاً : يسمون النبي أبا ويأبى
من الاحزاب سطر من سطور (٣)

ويعد علي بن الجهم من أبرز شعراء العصر العباسي الاول الذين احتجوا للعباسيين بالخلافة وأيدوهم تأييداً مطلقاً على ذلك ، وأكد أكثر من ترجم الشاعر تشيعه لبني العباس وانحرافه عن الطالبيين (٤) ، لذلك نلون شعر علي

---

(١) طبقات الشعراء ص ٢٤٥ .
(٢) الاغاني ١٢ / ١٧
(٣) طبقات الشعراء ص ٢٤٧ واشارة للآية ٤٠ من سورة الاحزاب .
(٤) راجع الكامل لابن الاثير ٥/٢٨٧ مروج الذهب ٢/٢٨٦، ٤/٩٠، لسان الميزان ٤/٢١٠

بهذه الصيغة السياسية ، فلا نكاد نجده في أغراضه التقليدية — مدحاً وهجاء وفخراً ورثاء — إلا وقد ادارها حول هذا المحور .

وهذا الموقف الشعري لم يتغير لدى الشاعر على بالرغم من تراوح موقف الخلفاء العباسيين — الذين عاصرهم الشاعر — تجاه العلويين ليناً وقسوة خاصة في خلافة المعتصم والواثق اللذين يعدان امتداداً في سياستهما للخليفة المأمون الذي فضل علياً (رضي الله عنه) على الناس جميعاً بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (١) . لكن الشاعر يقسم بالبيت الحرام مؤكداً أولوية بني العباس بميراث النبي ويحتج لذلك بالكتاب والسنة ، ويجعل مودتهم من العبادة بمنزلة الصلاة والصوم فيقول في قصيدته الميمية المشهورة بين يدي المعتصم :

أَمَا وَمُحَرِّمِ البيتِ الحرامِ
يَمِيناً بينَ زَمزمَ والمَقامِ
لأنتمُ يا بني العبّاسِ أَولى
بميراثِ النبيِّ مِنَ الأنامِ
تُجادِلُ سورةُ الأنفالِ عَنكُم
وفيها مَقنَعٌ لِذَوي الخِصامِ
وآثارُ النَّبيِّ مُسَنَّداتٌ
صَوادِعُ بالحلالِ وبالحرامِ
مَودَّتُكُم تُمَحِّصُ كُلَّ ذَنبٍ
وتُعدَلُ بالصلاةِ وبالصيامِ (٢)

ونلمس في الأبيات روح مروان بن أبي حفصة الذي استدل قبله بآية الأنفال واحتج بما في قوله تعالى : «وأُولُو الأَرحامِ بعضُهم أَولى ببعضٍ في كتابِ اللهِ إنَّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عليم» (٣) ، وذلك حين يقول مروان :

---

(١) البداية والنهاية ١٠/٢٩٧ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ...
(٣) الانفال آية ٧٥ .

شَهِدتْ مِن الانفالِ آخرُ آيةٍ
بتُراثهم فأردتم إبطالَها (١)

لكن ابن الجهم زاد المعنى قوة وتوثيقاً حين أضاف حجة أخرى ترفع مكانتهم وتؤيد حقهم بالخلافة وهي السنة الثابتة الصحيحة التي سجلت لهم مأثرة سقاية الحجاج، وكان يتولاها العباس عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول (عليه السلام) : «كل مأثرة من مآثر الجاهلية تحت قدمي إلا سقاية الحاج وسدانة البيت» (٢) .

ثم ينتقل في الأبيات الأخيرة ساخراً من دعوى الكيسانية التي تزعم ان ابن الحنفية — الخليفة المنتظر — حي يرزق في رضوى، فيفضل المعتصم على هذا الامام المتوارى، ويفخر بمنعتهم وعزتهم وغضبتهم لدين الله فيقول:

وَرَافضةٌ تقولُ بشعبِ رَضوى
إمامٌ خابَ ذلكَ من امامِ
إمامي مَنْ لَه سَبعونَ ألفاً
من الأتراكِ مُشرعةَ السهامِ
إذا غَضِبُوا لدينِ اللهِ أرضَوا
مَضاربَ كلَّ هنديٍّ حُسامِ (٣)

ولا عجب أن نجد حرارة عباسيته وصدق حماسه للخليفة إذا تذكرنا أن اسرته — بني سامة — كلها تميل لبني العباس . وقد ساعد على ذلك نشأة الاسرة بخراسان — مهد الدعوة العباسية — ومن أجل ذلك أنزل محبته العميقة لبني العباس — في الابيات السابقة — منزلة الصلاة والصوم.

ويصرح بولائه المطلق مرة أخرى للخليفة الواثق حين يحبس الملك على بني العباس. ويجعل حكمهم من عند الله تعالى فيقول :

---

(١) شعر مروان بن أبي حفصة ق ٦٦ ص ١٠٤ .

(٢) راجع ديوان علي بن الجهم ص ٧٠ هامش ٥ ، ويتكرر هذا المعنى في وصافيته ص ٢٥٥، والحديث رواه ابو داود والترمزي .

(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٢ .

يَا بني العبّاسِ يَأبى اللـه
إلاّ أن تسوسُوا
لكمْ المُلكُ علينا
آخرَ الدّهرِ حبيسٌ (١)

ويؤكد شرعية الخلافة حين يصف حجتهم فيها بالعلو، وينسب حزبهم إلى الله فيقول :

أيّها الواثقُ باللـه
لقد ناصحتَ ربّكْ
أصبحتْ حجتُكَ العُليا
وحزبُ اللهِ حزبُكْ (٢)

** ** **

لكن الشاعر أتى باكثر شعره العباسي وأفرغه في ديوان الخليفة المتوكل الذي كان نقطة تحول في السياسة العباسية عما كانت عليه بعد المأمون. فيلح على معنى متابعته لبني العباس والتزامه بهذا العهد، ويقرن — كما سبق — هذه المودة بالعبادات لتزكو عند الله، كما يقرن عزه بعزهم فيقول :

أنتَ ميثاقُنا الذي أخذَ الله
(م) علينا وعهدُه المسؤولُ
بِكَ تزكو الصلاةُ والصومُ والحـ
ـجّ ويزكو التسبيحُ والتهليلُ
مذهبي واضحٌ وأصلي خُراسا
نُ وعزّي بعزِكمْ موصولُ (٣)

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٤ .
(٢) = = = = ص ١٦ .
(٣) = = = = ص ٢٦ .

ويتكرر معنى اشتقاق المحبة لهم من الاسلام ، وربط هذا الحب بالايمان كالطهر للصلاة حيث يقول :

عِلْماً باسبابِ النبيّ وانما

يحب بني العباسِ مَن كانَ مُسلما(١)

ويقول أيضاً : وَلاَ يُقبلُ الايمانُ إلا بحبكمْ

وَهلْ يَقبلُ اللهُ الصلاةَ بِلا طُهرِ؟(٢)

يبعد في ذلك حين يعدبل حبهم من التوحيد ، ويستفيض -- في اعلان صريح -- مؤكداً ولاءه لهم، لانهم السادة وهو لهم من العبيد، يرضى ما يرضونه ويأبى ما يأبونه .. ويطيع من بعدهم من ولاة العهود فيقول :

يابني هاشمِ بنِ عبدِ مناف

نسبةٌ حُبُّها من التوحيد

أنتم خيرُ سادةٍ يابني العبّاسِ فابقوا ونحن خير عبيدِ

نحن أشياعكُم من أهل خراسا

ن أولو قوّةٍ وبأسٍ شديدِ

إن رَضيتم أمراً رَضينا وإن تأ

بَوا أبينا لكمْ إباءَ الاسوَد

حَسبنا اللهُ والخليفة من بعـ

ـد وَمَنْ بعده وُلاةُ العهود (٣)

ولاشك ان معانيه السابقة التي ربط العبادات والتوحيد بحبه العباسيين فنضج بالمبالغة ، والعلاقة الشرعية بينهما محدودة . جاوزها بهواه واعجابه ..

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢١ .
(٢) = = = = ص ١٤٨ .
(٣) = = = = ص ٣٤،٣٥.

ويلاحظ شغف الشاعر بنداء الخليفة بنسبته من بني هاشم ـ كما في الابيات الآنفة الذكر ـ وبنسبة العمومة من الرسول (عليه الصلاة والسلام). لما في ذلك من علاقة بحجتهم في الخلافة إذ يقول للمتوكل:

يَا أبَا الفَضْلِ يابنَ عَمِّ رسولِ اللـ
ـهِ أنتَ المؤمَّلُ المَحذورُ(١)

ويقول أيضاً :

أنتُم بني عَمِّ النبيِّ محُمد
أولى بما شَرَعَ النبيُّ محمّدُ(٢)

ويسوق ابن الجهم في شعره العباسي ـ حجة اخرى غير التي واطأ فيها ابن أبي حفصة ـ السابق ذكرها ـ ، وذلك في وجوب طاعة أولي الأمر. مطلقاً مما تأكد في الكتاب والسنة حيث يقول تعالى: « وأطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم»(٣) كما يقول(صلى الله عليه وسلم): اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله»(٤)، فيقول مضمناً هذا المعنى :

أغيرَ كتابِ اللهِ تبغونَ شاهداً
لكم يابني العباسيِ بالمجدِ والفخر

كفاكمْ بأنّ اللهَ فوّضَ أمرَهُ
إليكمْ وأوصَى أن أطيعُوا أُولي الأمرِ(٥)

ويقول في المتوكل أيضاً :

له المنّةُ العُظمَى عَلى كلِّ مُسْلِم
وطاعتهُ فَرضٌ مِن اللهِ منزَلُ(٦)

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٣٦ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٤٦ .
(٣) النساء : ٥٩.
(٤) رواه البخاري .
(٥) ديوان علي بن الجهم ص ١٤٨ ، ٢٢٣ ، ٢٥٤ .
(٦) ديوان علي بن الجهم ص ١٦٤ .

مروءته

لكن الأمر الجدير بالتنويه والذكر أن علي بن الجهم لم يكن في شعره العباسي مجاوزاً الحدود والآداب، فلم ينل من الرافضة إلا في فكرة المهدي المنتظر — مما سبقت الاشارة له — ولم يرد عنه في علي (رض الله عنه) ما يقدم فيه ويثلم مروءته، بل منحه مقاماً حسناً يليق به، وذكره بالاجلال والتعظيم حين عرض له في ارجوزته — وان كان قد أوجز القول فيه — فهو يقول :

وفُوض الأمر إلى علَيّ
الهَاشمي الفَاضل الزّكي

فقَامَ بالامر سنينا أربَعا
وتسعةً من الشهور شَرعَا

ثُم قضَى مُستشهدا محمُودا
عَاش حَميدا و مضَى مفقودا (١)

ولم ينس ذكر مصرع الحسين بن علي (رضي الله عنه) حين عرض لخلافة يزيد بن معاوية في هذه الارجوزة فقال :

و ملك الأمر ابنهُ يزيدُ
لاحَازمُ الرأي ولا رشيدُ

و قتلَ الحسينَ في زمانه
أعوذُ بالرّحمن منْ خُذلانه (٢)

وهكذا لانجد في شعره دليلا يؤيد هجاءه لعلى (رضىالله عنه) مما أنكر عليه بعض من ترجم له ومما أنكر عليه بعض الشعراء في هجائهم له (٣).

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢٤٤ .

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٢٤٥ .

(٣) راجع الاغاني ٢٠٥/١٠، ديوان البحتري ١٧٦/١، ١٠٣٨/٢، وعلي بن الجهم حياته وشعره ص ٣٩ .

ثانياً : الشعر المذهبي السني :

لم تكن فرقة أهل السنة فرقة سياسية تقابل الشيعة والخوارج، وتصدر عن رأي مستقل في مفهوم الخلافة، بل جاءت فرقة تشبه المعتزلة والمرجئة في عنايتها بأمور الفقه والعقيدة.. أما موقفهم تجاه الخلافة العباسية فالموافقة والمتابعة لهم باعتبار مفهوم الطاعة للامام الذي يلي الأمر، ويتمثل تأييد السنة للعباسيين في (المالكية والاحناف والشافعية والحنابلة)، ولذلك لا نجدلهم شعراً يدور فيما اشتجرت فيه الاحزاب والفرق السياسية الاخرى حول قضية الخلافة، بل يعرف لاهل السنة موقف خطير تميزوا به، وذلك في مخالفتهم لأهل الاعتزال في قضية خلق القرآن التي احتدم الصراع فيها خلال خلافة المأمون والمعتصم والواثق .

ويعتبر المأمون المدافع الاول عن المعتزلة، وهو أول من أخذ الناس والزمهم بهذه البدعة كما يقول ابن كثير (١) ، وقد التزم أخوه المعتصم بوصيته في رعاية المعتزلة والأخذ برأيهم . كما صار الواثق بن المعتصم من أشد الناس قولا بخلق القرآن يدعو اليه ليلا ونهارا وسراً وجهاراً (٢) . ولم يمنح — تبني الخلافة لآراء المعتزلة — أهل السنة متنفساً للتعبير عن رأيهم والدفاع عنه . فلم تبلغنا إلا قصائد قليلة تنكر فكرة خلق القرآن ، وتنعى على المعتزلة مخالفتهم الصحابة في مقالتهم . وابتداعهم امرا لم يرد عن السابقين (٣)، وترد أكثر هذه النصوص غفلاً من النسبة .

وقد برز ابن الجهم للدفاع عن أهل السنة والذب عنهم بحماسة عالية وعاطفة عميقة . وعدّ من القلة القليلة التي آنست في نفسها الشجاعة للوقوف ضد التيار السائد في ذلك العصر إذ كان التسنن ضعيفاً مهيناً قبل المتوكل .

---

(١) البداية والنهاية ٢٦٧/١٠ .

(٢) راجع البداية والنهاية ٣٠٣/١٠. .

(٣) راجع قصيدة اسماعيل الترمذي في سبعة وستين بيتاً ، مناقب الامام أحمد ص ٤٥٥، المنهج الاحمد ٥٢/١ .

وكان الاعتزال مذهب أهل القوة والأيد من الخلفاء والوزراء ، فهجا عبد الملك بن الزيات حين كان ذا صولة وجولة يتحكم في الناس ،وقد وزر للخليفتين المعتصم والواثق ، وكان فضلاً عن اعتزاله قليل الخير ، لايحبه أقرب الناس اليه (١) ، ومن أجل ذلك سعى ليكيد ابن الجهم فكان يَسْبَعُه عند الخليفة ويعيبه ويذكره بكل قبيح (٢) ، وبالمقابل كان علي يعلن عداءه الساخر تجاهه ويهجوه باعتزاله وخصاله السيئة وهو يصب عليه اللعنات المتتابعة لتفريقه لكلمة الامة ، وبعده عن كتاب الله ، وزرايته به فيقول :

لَعائنُ اللّهِ مُتابَعاتْ مُصَبحاتٍ ومُهجراتِ
عَلى ابنِ عَبدِ الملكِ الزَيّاتِ عرّضَ شملَ المُلكِ للشتاتِ
وَانفذَ الأَحكامَ جائراتِ عَلى كتابِ اللهِ زَارياتِ (٣)

ثم يخاطب سيده الخليفة الواثق بالله ويدعوه لمعالجته بالسيف واراحة الناس من شره بعد تعزيره بالضرب بالسوط فيقول :

أَما تَرى الأمُورَ مُهمَلاتِ تَشكُو إليكَ عَدَمَ الكُفاةِ
فَعاجلِ العِلجَ بِمُرهَفاتِ مِن بَعدِ ألفِ صُخُبِ الأَصواتِ
بِمُثمراتٍ غيرِ مُورِقاتِ تُرى بِمتنيهِ مُرصَّفاتِ (٤)

(١) راجع ترجمته في الكامل ٣٢/٧ ، ٣٨ ، ووفيات الاعيان ١٠١/٥ تحقيق احسان عباس
(٢) راجع الاغاني ٢٢١/١٠ ومعنى يسبعه : يشتمه .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١١٨ .
(٤) ديوان علي بن الجهم ص ١١٩ .

ولم تزل العلاقة بينهما سيئة حتى وجد علي فرصته الكبرى للاجهاز على خصمه في خلافة المتوكل ، فجعل يهجو ابن الزيات ، ويحرض الخليفة على التخلص منه جاعلاً بدعة الاعتزال من قرون الشرك التي طعنت في أحشاء الامة ، ومذكراً بما كان من ابن الزيات قبل خلافته فيقول (والضمير عائد إلى المتوكل) :

تُدنيهِ أمةُ أحمدٍ   للثأرِ مِنْ أعدائها
مِن بعدِ ما طعنتْ قرو   نُ الشركِ في أحشائها
وتحكّم الزيّات في   أموالها ودمائها
زارٍ على سُننِ النبـ   ـي يجِدُّ في إطفائها (١)

وبالمثل كان أحمد بن أبي دؤاد من رؤوس الاعتزال وزعمائه الذين يتولون الحكم ، وان كان موصوفاً بحسن الخلق حتى قيل فيه انه «لولا موضعه من محنة القرآن لاجمعت عليه الأنس» (٢) ، ومن هنا وقع التنافر بين علي وابن أبي دؤاد ، فكان الأخير كما قال الاصبهاني : «منحرفاً عن علي بن الجهم لاعتقاده مذهب الحشوية» (٣) . ولم يسلم أحمد من لسان شاعرنا ابن الجهم وهجاه هجاء مذهبياً لاذعاً بعد أن خذله في التوسط بينه وبين الخليفة المتوكل في محنة سجنه . فكان أن سمى مبادىء اعتزاله بدعا . وولايته أمر الدين فساداً حيث يقول :

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٣٩ .
(٢) البداية والنهاية ١٠/٣٢٠ .
(٣) الاغاني ١٠/٢١٧ .

يَاأَحمـَـــــدَ بنَ أَبـي دؤَادٍ دَعْـــوةٌ
بَعثتْ إليـك جَنادلاً وَحَـد يدا

مَاهَذهِ البِـدَعُ التى سَمَيْتَهــــــــــا
بالجَهلِ منك العدلَ والتَوحـيدا

أَفسدتَ أَمـرَ الدينِ حـينَ وَليتَـــــــهُ
وَرَمَيتَهُ بأبى الوَليدِ وَليـدا (١)

وحين فلج ابن أبي دؤاد وطال به ذلك شمت به (٢) وتعجل موته لينقذ البشرية من سيئات أعماله وآثاره ، فهو الذي عطل المجالس عن رواية السنة المشرفة ، وحاد عن طريق الهداية وألقى في السجن أصحاب الحديث ورمل النساء .. ومصابه هذا كفاء أعماله الباطلة فليدم مابه وليزد فَجيعةً بمصاب ابنائه يقول :

فَرحتْ بمصرعـك البَريـــةُ كُلهـــا
مَن كَان منهمْ مُوقنـاً بمعَادِ

كَـم مجلسٍ لله قَـــد عَطلتَــــهُ
كي لايُحدَث فيـــه بالاسنادِ

ولَكمْ مَصابيـحٍ لنَا أطفأتَهـــا
حتَى نحيد عَن الطريق الهادي

ولكمْ كريمـــةِ معشرٍ أرملتَهـــا
ومحدث أوثقـت في الأقيـادِ

فـــذقْ الهَوان مُعجَّـــلاً ومؤجَلاً
واللهُ ربُّ العَــرش بالمرصادِ

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) يذكر الزمخشري في ربيع الابرار موقفا مناقضا تمنى فيه الشاعر أول مرض أحمد السلامة له ونذر له صيام شهر راجع ديوان علي بن الجهم ق ٩ ص ١٠٩ .

لازال فـالجـلك الـذي بك دائمـاً
وفُجعت قبل المَوت بالأولاد (١)

ولم تكن أهاجي الشاعر لابن الزيات وابن أبي دؤاد المجال الوحيد للتعبير عن سنيته، بل وجدنا هذه الروح قوية تفوح بهذه المعاني في مدائحه المخمد الفتنة العمياء ووائد الضلالة الدهياء المتوكل، فهذه رائيته التي سماها بالسنية، وهي من أوائل شعره، يقول فيها بعد أن مدحه بالحسن والفصاحة والشجاعة والكرم :

قام وأهلُ الأرض في رجفَة
يخبطُ فيها المُقبل المُدْبرُ
في فتنةٍ عَمياء لا نارُهَا
تخبُو ولا مُوقدُها يَفتُرُ
والدينُ قد أشفَى وأنصارُه
أيدي سبا مَوْعدُها المَحشَر
فأمَّر اللهُ إمام الهُدى
والله مَنْ ينصُرهُ يُنصر
وفوّض الأمر الى ربّه
مُستنصرا إذْ ليْس مستنصرُ(٢)

ثم يصفه بتطبيقه لمبادىء أهل السنة ومفارقته لافكار المعتزلة الذين يقولون بحرية الارادة

إني توكلتُ على اللـه لا
أُشركُ باللّه ولا أكفرُ

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٢٨- ١٢٩ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٧٣ .

لا أَدَّعي القُدرة من دُونه
بالله حَولي وبه أقدرُ

أَشكره إن كُنتُ في نعمة
منه وَإنْ أذنبتُ استغفرُ

فليس توفيقيَ إلا به
يَعلمُ مَا أُخفي ومَا أُظهرُ

فَهو الذي قَلدني أمرهُ
إنْ أنا لم أَشكرْ فَمنْ يَشكرُ

واللهُ لا يُعبدُ سراً ولا
مثلي على تَقْصيره يُعذرُ (١)

ثم يمضي ذاكراً صنعه في أهل الفساد من الاعداء، ووقوع ما يحذرون منه على فترة من الزمن ولولا تداركه للموقف لضلل أبليس الآخرين، لكن الخليفة ردهم الى الحق واعادهم اليه :

وجرّد الحقّ فاشتجى به
مَن كان عن أحكامه ينفرُ

وانفضّت الاعداءُ من حَوله
كحُمُرٍ أنفرُها قسورُ

وصَاح ابليسُ بأصحابه
حَلّ بنَا مَا لمْ نَزلْ نحذرُ

مَالي وللغُرِ بني هاشم
في كل دهرٍ منهمُ مُنذرْ

والله لو أمهلنا ساعةً
مَا هَلّل النّاسُ ولا كَبّروا

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٧٤ .

أليـــس قـد كـانُوا أَجابـُوا إلـى
أنْ أَظهـروا الشِّـرك كما أَضمِرَوا

واظهـرُوا أنهُــم قُدَّر
قُــدرة مَن يقضـي ومن يـَقدُرُ

فَردَّهمُ طَـوعاً وكَرهــاً إلى
أنْ عرفُوا الحقَّ الـذي أنكروا (١) .

ويختم القصيدة بربط هذا الحدث بحدث الردة الاولى التي كبح جماحها الصدّيق (رضي الله عنه)، وحفظ المسلمين من الزيغ والضلال والكفر، وهذه الردة الثانية قام على كبحها وكتبها الخليفة المتوكل .

والحقيقة ان هذه القصيدة جديرة باسمها (السنية) لمناسبة ذلك المعاني التي ضمنها، ويلاحظ أن حكمه على المعتزلة بالشرك لقولهم بالقدر لم يكن اعتباطياً بل استمده مما أفتاه به الامام أحمد فقد حدث عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي وسأله علي بن الجهم عمن قال بالقدر يكون كافراً؟ قال أبي: «اذا جحد العلم إذا قال: ان الله لا يعلم أو لم يكن عالماً حتى خلق علما فعلم، فجحد علم الله فهو كافر» (٢)

ومازال الشاعر يبدىء ويعيد في المعاني السابقة معبراً عن سنيته خلال مدائحة الخليفة المتوكل، فهذه لاميته التي يؤكد فيها على تمسك المتوكل بالسنة إذ أنه يرمي بقوس رسول الله (صلى الله عليه وسلم). ويصدر عن رأي سديد كرأي ابن عباس (رضي الله عنه). وقد قام بأمر الله وأعاد الاسلام. واقتدى بآثار الرسول (صلى الله عليه وسلم):

عنايتُه بالـديـن تَشهـدُ أنـه
بقوس رسول الله يَرمـي ويَنصلُ

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٧٤، ٧٥ .

(٢) طبقات الحنابلة ص ٢٢٣ .

إذا مَا رأى رأياً تيقنت أنّه
برأي ابن عبّاسٍ يُقاسُ ويُعدل

أعاد لنا الاسلام بَعدَ دُروسه
وقام بأمر الله والامرُ مُهمل

وآثر آثار النبي مُحمّد
فقال بما قال الكتابُ المُنزّلُ

وألّف بين المسلمين بيُمنه
وأطفأ نيراناً عَلى الدين تُشعَلُ (١)

والملاحظة الظاهرة على بن الجهم خلال شعره السني أنه كان شاعراً ملتزماً، وقد حرص على الموضوعية في أحكامه التي أصدرتها في المعتزلة، وان كانت قاسية، حين وصفهم مرة بالكفر وأخرى بالردة، وقد كان يتمتع بروح قوية في مدائحه الاولى ثم ضعفت بعد ذلك لانقضاء خطر المعتزلة في عهد المتوكل (٢) ...

ثالثاً ـ شعر الاخلاق والآداب الاسلامية :

الاخلاق الاسلامية أساس يحكم النظام الاسلامي كله، فهي جوهر الاسلام وروحه السارية في جوانبه كلها .. وآية ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) «الدين حسن الخلق» (٣)، ومن كمال الايمان حسن الخلق كما عبر (صلى الله عليه وسلم) «أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً» (٤)، وجاءت العبادات لتحقق الاخلاق الحسنة لافرادها المؤمنين بها المطبقين لها .

والمجتمع العباسي تبرز فيه الاخلاق الاسلامية لدى الخلفاء أنفسهم من ناحية، وضمن أفكار الفرق والمذاهب الاسلامية من ناحية أخرى . وفي

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٦٤ وراجع ص ٧٩ .
(٢) راجع علي بن الجهم حياته وشعره ص ١١٤.
(٣) الادب المفرد للبخاري ص ٨١ .
(٤) مسند الامام علي أحمد ٢/٢٥٠ .

قيم المجتمع الذي ينشأ فيه الفرد فيتلقى فيه كتاب الله وسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

وانعكست هذه الاخلاق في ديوان الشعر العباسي ، فبرز عدد كبير من الشعراء يدعون إلى هذا القيم ويهيبون بها ، وقد تناولوا مثالية الشيم الرفيعة شيمة شيمة ، «وأخذوا يفردونها بمقطوعات أو قصائد يجردونها لها محللين ومفكرين ملاحظين ، فقطعة في تصوير الكرم ، وقطعة في تصوير الحلم ، وقطعة في تصوير الحياء ، وقطعة في تصوير العفة ، وقطعة في تصوير الصبر والتنفير من اليأس» (١) .

وقد ضم ديوان علي بن الجهم الكثير من المعاني الاخلاقية ، ونستطيع من أجل ذلك أن نعد موضوعها من اغراضه الخاصة ، وإن كانت لها علاقة بالاغراض التقليدية العامة ، فالصلة وثيقة بينها وبين غرض الفخر حين يعلو صوته حباً لها وغيرة عليها ، كما أن لها علاقة أوثق بشعره في السجن حين يتماسك ويظهر من نفسه قوة وجلداً أمام نوائب الدهر حفاظاً على دينه ومروءة .. ولهذا الشعر علاقة متينة بشعر الحكمة كذلك ، حين تصفو نفسه فتنبعث منها تلك البدوات المشرقة ، وينثر من كنانته خواطر المتألقة معبراً عن تجاربه وحكمته (٢) ..

الاخلاق الذاتية :

كان علي بن الجهم قسيماً وسيماً يلقى القبول ، راجح العقل راشد السلوك وقد تحلى بالخصال الفاضلة من الرجولة والشمم والاباء ، وتعشق مظاهر الفتوة والشرف والمجد ، وانقطع عن كل ماينلم مروءته ويقلل قيمته في المجتمع ..

وقد زخر ديوان شعره بتلك المثل الرفيعة التي افتخر واعتز بها .. فحين

(١) العصر العباسي الأول ص ١٨١ وراجع التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول ٣١١ - ٣٥١ .

(٢) راجع امثلة من ذلك في ديوان علي بن الجهم ص ١١٠ ، ٩٧ ، ١٦٢ ، ٩٤ .

قدر عليه السجن ، لم يظهر ضعفاً أو ليناً ، كما لم يهن أمام عواصف الزمن وارزاء الدهر ، بل بقي شامخ الانف مرفوع الجبين في عز ومنعة يستمدهما من دينه ، ودخل علي السجن — كما يقول أحد الباحثين — : «متعالياً على النكبة مستخفاً بالنازلة معتداً بالذات ، حريصاً أشد الحرص على الا يشمت اعداءه به ، والا يقرّ عيون حساده بضعفه وتضعضعه ، فلم ينظر إلى الحادثة إلا كما ينظر الطود الشامخ الى الامواج العاتية التي تصدم سفحه ، فهو لايرى إلا دفقات من الماء جاءت لتغسل قدميه ، ثم لاتلبث أن ترتد عنهما خاسئة ذليلة» (١) .

فهذه رائعته الدالية التي يشبه فيها دخوله السجن بالسيف المسلول وقد رد إلى غمده ، وهو كالليث أوى إلى غابة ، وكالشمس المحتجبة عنا لتمنح أشعتها للفرقد ، وكالبدر الذي يتجدد بعد اختفائه ، وكالغيث طي الغمام وكالنار المستكنة ، وكالرمح الذي يعرض على النار ليستقيم .. يقول :

قالتْ حُبستَ فقلتُ ليسَ بضائرٍ
حَبسي وأيُّ مُهندٍ لا يُغْمَدُ

أو ماَرأيتَ الليثَ يألفُ غيلَهُ
كِبراً وأوباشُ السِّباعِ تردَّدُ

والشمسُ لَولا أنها محجوبةٌ
عَن ناظريكَ لمَا أضاءَ الفرقدُ (٢)

وتمضي الابياتُ — بالمعاني المذكورة — على النسق نفسه . ثم يسلي نفسه فيرتجي الخير وينتظر ، ويدفع اليأس والقنوط عن نفسه بالصبر ، ثم ينتقل إلى اضفاء صفات الكمال إلى السجن ويمتدحه — على طريقة تحسين التقبيح — فهو البيت الذي يزورك فيه الناس دون التكلف برد

(١) علي بن الجهم حياته وشعره ص ١٨٣ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٤١ — ٤٢ .

زيارتهم ، وهو المقام الذي يخدم ويحفد فيه المرء ، وفيه العزة عن ذل بلاط الخلفاء ، ثم ينتهي إلى أنه نعم المنزل إن لم ترده لدنية فيقول :

صَبراً فَإن الصَبر يُعقبُ راحةً
ويَدُ الخَليفة لا تُطاول لُها يَدُ

والحَبسُ مالمْ تَغشَهُ لدنيّة
شَنعاءً نعم المنزلُ المُتَوردُ

بَيتٌ يُجددُ للكريم كَرامةً
ويُزارُ فيه ولا يزورُ ويُحفَدُ

لَوْ لَم يكنْ في السجن إلاّ أنهُ
لا يَستَذلُكَ بالحجاب الأعبدُ (١)

وبنفس الروح السابقة تأتي أبياته التي تسجل حادثة صلبه مجرداً بالشاذياخ إذ يرى انه ليس بالمغمور أو المجهول الذي يزيد صلبه تعريفاً بالآخرين . بل هو الشرف كل الشرف والتبجيل كل التبجيل ، ولم يزده التنكيل به إلا رفعة .. ثم يقدم صوراً مقابلة للصور التي وردت في القصيدة السابقة باعتبار أنه كان مسجوناً ، وهو الآن مجرد ، فهو كالاسد يبرح أجمته ، وقد خافه الاعداء وهابوا شدته ، وهو أيضاً كالسيف المسلول ، وكالبدر ليلة تمامه فيقول :

لَم يَنصبُوا بالشاذياخِ صَبيحةَ الإ
ثنَين مَغموراً وَلا مَجهولا

نَصبوا بحمدِ اللهِ مَلءَ عيونهم
شَرَفاً وملءَ صُدورهمْ تَبجيلا

مَازدادَ إلا رِفْعَةً بنكولهِ
وازدَادتِ الاعداءُ عَنهُ نُكولا

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٤٥ .

هَل كَانَ الا الليثَ فَارق غيلَه
فَرأيتَه فى مَحمَلٍ محمُولا

لا يَأمنِ الأعداءُ من شداتِه
شدّاً يُفصِّلُ هامهم تفصيلاً

ماعابَه أنْ بُزّ عنه لباسُه
فالسيفُ أهولُ مايُرى مسلولا

انْ يُبتذلْ فالبدرُ لايُزري به
أن كانَ ليلةَ تمّهَ مبذُولا (١)

ثم يمضي إلى عرض روحه المعنوية التى يتمتع بها ، فهو ليس بحزين على فقده المال إذ لم يسلب وسامته ، ولن يبدل دينه ويقينه وجنانه ، ولم ينقص شيئاً مادام غير جهول فيقول :

إنّ المَصايبَ ماتعـدتْ دينَه
نِعَمٌ وانْ صَعُبتْ عليهِ قليلا

لَن تَسلبُوه – وإنْ سَلبتم كلَّ ما
خَوّلتموهُ – وَسامةً وَقبُولا

هَل تملكونَ لدينهِ ويقينهِ
وَجنانهِ وبَيانه تبديلا

لَم تَنقُصُوهُ وَقد ملكتمْ ظُلمهُ
ماالنقص إلا أن يَكونَ جَهولا (٢)

وقد استحسن ابن المعتز قصيدتي ابن الجهم الدالية واللامية . وان القوم لما سمعوا الثانية أنزلوه ، وأكرموه . وبهما «حكموا له بأنه اشعر الناس فاذعنت له الشعراء وهابته الامراء» (٣) .

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٧١ ١٧٣ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٣ .
(٣) طبقات الشعراء ص ٣٢١ .

وهو في أبيات أخرى يهون أمر السجن على صاحبته مادام سالماً — وان اشتدت عليه صروف الدهر — ويشبه قيوده بالخلاخيل فيقول :

فَلا تَجزَعي إما رَأيتِ قُيـودَهُ
فانَّ خَلاخيلَ الرِّجالِ قيودُها(١)

ويبقى الشاعر محافظاً على عزته وشممه — وان طال به السجن وشق عليه المحال — بالاثابة إلى الله ، قائلاً :

إلى اللهِ فيما نابَنا نَرفعُ الشكوى
فَفي يَدِهِ كَشفُ الضَرُورةِ والبلوَى
خرجَنا من الدنيا ونحن من أهلها
فلسنَا من الاحياءِ فيها ولا الموتى(٢)

ويحسن التوكل على الله والتسليم لامره — ليكشف عنه الضر — فيفزع بالدعاء الى من لا يرد الدعاء فيقول :

توكَلنا على رَبِّ السماء
وَسلّمنا لأسبابِ القَضاءِ
وأفنية الملوكِ محجبات
وَباب اللهِ مبذول الفناءِ
فَما أرجُو سواه لكشفِ ضُري
ولَم أفزعْ إلى غيرِ الدُعاءِ(٣)

وكأننا بالشاعر — في تجربة سجنه المريرة — قد صقلته وشذبته فخرج أصفى معدنا وأنقى جوهراً. وأدرك قيمة الحياة الحقيقية . وقد جعلها كما يقول :

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٥١ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٩٦ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ٨٢ .

هل العيش إلا العزّ والأمن والغنى
غنى النفس والمغبوط من ذلّ كاسحه (١)

ثم يصور نجدته في تفريج الكرب، وفزعه الى نصرة المحتاجين، ثم كرمه وسخاءه على ضيوفه فيقول :

ومن همم الفتيان تفريج كربة
واطلاق عان بات والبؤس فادحه

وضيف تخطى الليل يسأل من فتى
يضيف فدلته عليه نوابحه

ولهفة مظلوم تمناك حاضراً
وقد ذعرت أسرابه وسوارحه

فجئت تخوض الليل خوضاً لنصره
ولولاك لم يدفع عن السرح سارحه

والا يكن مالي كثيراً فإنني
كثير إذا ما صاح بالجيش صائحه(٢)

ويقدم مقياساً دقيقاً لتفاضل بنى البشر فيجعله في الهمة العالية الصادرة عن الطبع الاصيل. وليس في الجود والبلاغة ولا الشجاعة والامارة فيقول :

ما الجود عن كثرة الأموال والنشب
ولا البلاغة في الاكثار والخطب

ولا الشجاعة عن جسم ولا جلد
ولا الامارة إرث عن أب فأب

لكنها همم أدت إلى رتب
وكل ذلك طبع غير مكتسب(٣)

---

(١) ،(٢) ديوان علي بن الجهم ٦٥، ٦٦.
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١١٠
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٩٤ .

فكأنك به خلال هذه الابيات يقول: « انما يعلو المرء بأدبه لا بنسبه » :

ومن إبائه وشممه الذي عرف به ــ قناعته بالفقر جوعاً وعرياً ترفعاً عن منة الآخرين، والانكسار لهم فهو يقول :

كلبسُ ثوبين باليين
وطيُّ يومٍ وليلتين
أيسرُ من منةٍ لقومٍ
أغضُّ منها جفونُ عيني

وهو صيّن العرض، وان خس ماله حيث يقول:

إنْ خسَّ حظي من مالٍ تخوّنه
صرفُ الزمان فماعرضي بمخسُوس (١)

بل يشفق على الغريب ــ الذي فارق أحبابه وبعدت داره عنهم ــ لخشوعه وضعفه فيقول :

وارحمتا للغريب في البلد النا
زح ماذا بنفسه صنعا ؟
فارق أحبابه فما انتفعوا
بالعيش من بعده ولا انتفعا
كان عزيزاً بقرب دارهمُ
حتى إذا ماتباعدُوا خشعا
يقولُ في نأيهِ وغربتِه :
عدلٌ من الله كلُّ ماصنعا(٢)

ويؤكد على معنى هذه العزة باستحسانه موقف الصبر للحر في المحن . وقناعته حيث يقول :

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٩٣.
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١٥٤ .

مَاأحسن الصَبـــرَ ولاَ سيمـــا
بالحرّ إنْ ضَاقتْ به الحـال

يَشهدُ اعدائي بأنــي فتـــىً
قَطــاعُ أسبــابٍ ووصّال

لا تـمـــلكُ الشدةُ عـَزمـــي ولا
يبُطرُني جـَاهٌ ولا مَالُ(١)

ويجعل الراحة عاقبة الصبر فيكتب بهذه النصيحة لمن ضاقت حاله في السجن قائلاً لصاحبه :

صَبـراً أبـا أيوبَ حـَلَّ مُعظّـــم
فـَاذا جَزعـت من الخطوب فَمن لها

إن الذي انعقـدتْ بـه عُقدُ المكـا
ره فيك عَنْ قُربٍ يحسِّنُ حلّها

واصبرْ فـَانّ الصبـر يُعقبُ راحـــةً
وعَسى بـها أنْ تَنجلي ولـَعلّها(٢)

ومن المعاني الشعرية التي أدارها حول القيم والمثل الاخلاقية ، ماقاله في مدح الحياء على نحو يذكر بأبيات أبي تمام المشهورة في هذا الباب فيقول:

إذا رُزق الفَتـى وجهـاً وقـاحـاً
تقلّب في الأمور كما يَشـاءُ

ولمْ يَـكُ للدّواء ولا لشَـــيءٍ
يُعالجُـه بـه عَنـهُ غَنـاءُ

وربّ قَبيحـةٍ مَـاحـال بَينـي
وبين رُكوبـهـا إلا الحيـاءُ

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٦٨ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٩٣، ٩٤ وراجع ص ٤٥ .

وكان هُو الذي ألهَى ولكنْ

إذا ذهب الحياءُ فَلا دواءُ (١)

والمعنى – كما يلاحظ – يسوقه في معرض التمسك به ، وان كان الامر صعباً فهو يقول :

ولم نَدع الحياءَ لمَسِّ ضُرٍّ

وبعضُ الضرّ يَذهَبُ بالحياءِ

وجربَنا وجرّب أوّلونا

فَلا شيءٌ أعزُّ من الوفاءِ (٢)

ومن المعاني الاخلاقية التي طرقها ابن الجهم – فضلا عن العزة والحياء – معنى الجود والسخاء والفخر بهما والدعوة لهما، فهو الشكور على نعم الله، والله يعود – على عطاء السخي بالمزيد فلم كنز المال والموت لاحق بالجميع ؟ وصروف الدهر تدور :

إذا جَدد اللهُ لي نعمةً

شكَرتُ ولم يَرَني جاحِدا

ولم يزلِ اللهُ بالعائداتِ

عَلى مَن يجودُ بها عائدا

أيا جامعَ المال وفَرتَه

لغيركَ إذْ لمْ تكنْ خالدا

فإنْ قُلتَ أجمعُهُ للبنينَ

فقد يَسبقُ الولدُ الوالدا

وانْ قُلتَ أخشَى صُروفَ الزمانِ

فكنْ في تصاريفهِ واحدا(٣)

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٠٣ وراجع ديوان أبي تمام ٢٩٦/٤ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٨٣ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٢٧ .

ولا يفرحَنّ أحد بماله فان الله محاسبه عنه:

يَسرُّ مَن عاش مالُه فاذا
حاسبَهُ اللّه سرّهُ القدمُ(١)

ولهذا يحسن بالمرء أن يبادر بالعطاء ولن ينقص هذا ماله:

وليس يبيدُ مالٌ عن نوالٍ
ولا يُؤتى سَخي من سَخاءِ

كما أن السُؤالُ يَذلُ قوماً
كذاك يُعزُّ قوماً بالعطاء (٢)

والشاعر ينكر على نفسه البخل كما ينكر سؤال الآخرين ويراهما بمنزلة الموت:

أعاذلُ ليس البُخلُ مني سَجيةً
ولكنْ رأيتُ الفقرَ شرَّ سبيلِ

لَموتُ الفَتى خيرٌ من البخلِ للفتَى
ولَلبخلُ خيرٌ من سؤال بخيلِ

ولا تسألنْ مَن كان يسألُ مرةً
فلَلموتُ خيرٌ من سؤال سؤول(٣)

ويرسم صورة منفرة ساخرة للبخيل فيقول :

وليس الفتى مَن بات يحسبُ ربحَه
بَطيئاً ضنيناً بالذي هو رابحُه

يرى أنّه لا حقّ إلا لنفسه
عليه وأنّ الجودَ بالمالِ فاضحُه

له عِللٌ دُونَ الطعامِ كثيرةٌ
ووجهٌ قبيحٌ أربدُ اللون كالحُه

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٩٤ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٨٢ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٤ .

كثيرُ همـــوم النفس كزّ كأنـــه
من البخل قُفلٌ ضاع عنهُ مفاتحُه(١)

وهكذا يجعل البخل من شر الآفات ،وشر منه الكذب والخلف فيقول:

إذا اجتمـــع الآفاتُ فالبخـــلُ شرُّها
وشرٌّ من البخلِ المواعدُ والمَطلُ
ولا خيرَ في وعـــدٍ إذا كان كاذبـــاً
ولا خير في قول إذا لمْ يكنْ فعلُ(٢)

ومن موضوعات شعر الاخلاق والآداب الاسلامية التي حوم حولها الشاعر ، ماتصل بالعلم والكتاب ، وما تعلق بالدعوة إلى الاقبال عليه والاعتزاز به ، إذ يصف لنا ليلة أمضاها مع الاخيار في الاسمار والملح والاشعار فيقول :

وليلـــةٍ كأنهـــا نهـــارُ
سهرتَها وفتيـــةٌ أخيارُ
لا جاهـــلٌ فيهـــمْ ولا ختّـــارُ
ولا على جليسهِ هـــرّارُ
لهوهـــمُ الاسمـــارُ والاشعـــارُ
وملحٌ تقدحُ منها النارُ (٣)

وهو يفضل جلسات المذاكرة مع الادباء على الدنيا وما فيها فيقول :

لجلسةٌ مع أديبٍ في مذاكـــرة
أنفي بها الهمّ أو استجلب الطربا
أشهى الىّ من الدنيا وزخرفهـــا
وملئها فضة أو ملئها ذهبا (٤)

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٦٦.
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥٦ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٣٧ .
(٤) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥٨

وله قطعة يصف فيها الكتاب فيجعله السمير الممتع الذي يفضل بني البشر فيقول :

سَميرٌ إذا جَالستَه كَان مُسلياً
فُؤادك مما فيه من ألم الوَجدِ
يُفيدكَ علماً أَو يَزيدُك حكمةً
وغيرُ حَسودٍ أَو مُصرٌّ على الحِقدِ
ويحفظُ ما استودعتَه غَير غَافلٍ
ولا خائنٍ عَهدا عَلى قدمِ العَهد(١)

ويرى الشاعر الجهل نقصاً كبيراً ، ولا حرج على المرء ان شاب رأسه على علم فيقول :

إذا لَم يَشِبَ رأسٌ عَلى الجهل لَم يكنْ
عَلى المرء عَارٌ أَن يَشيب ويَهرَما(٢)

وهو يرى العلم ضرورة لطالب الهدى ، ولا يأتي ذلك إلا بالتعلم والتجارب فيقول :

إذا ما امرؤٌ لَم يُرشِدِ العلمَ لَم يَجِدْ
سَبيل الهُدى سَهلا وانْ كَان مُحكما
ولم أَر فرعا طَال إلا بأَصله
ولم أَر بَدْءَ العلم إلا تَعلما
ومَن قارعَ الأيامَ أَوفرَ لبَّه
ومن جَاور النَدم العييَّ تندَّما(٣)

ومن امتداد موضوع الرغبة في العلم وشغفه به ، وذم الجهل .. جاء اتجاه الشاعر إلى الشعر التعليمي حيث كان له قصب السبق إلى نظم حوادث التاريخ الاسلامي في أرجوزته المشهورة الموسومة بالمحبرة في التاريخ ،

(١) ديوان علي بن الجهم . ص ٢٥٩ وراجع بعض الاشارات إلى الكتابة /ص ١٠٨ ، ٢٥٨
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١٩ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ٥٢

ولعل أراجيز أخرى وجدت في موضوعات أخرى ، لكن هذه تتميز بأنها الاولى في موضوعها التاريخي الذي سجل به الحوادث من بدء الخلق إلى نهاية الخلافة العباسية بوفاة الخليفة المستعين ، وتقع المحبرة في ٣٣٠ بيتاً ،ويمكن تقسيم هذه المحبرة أربعة أقسام :

أرخ الشاعر في الأول منها للبشرية من لدن آدم عليه السلام إلى ظهور نبي الاسلام (صلوات الله عليه) ، وهو أكبر الاقسام حيث يشكل ثلثي الارجوزه ، إذ يقع في ثمانية ومائتي بيت وتحدث فيه عن قصة آدم وابنيه ، وقصة شيت ومن بعده ادريس (عليهم السلام) ، ثم قصة نوح وأولاده الثلاثة سام وحام ويافت ، وعرض لقصة هود وصالح (عليهما السلام) مع أقوامهما ، ثم انتقل إلى قصة ابراهيم وخبر ابنيه اسماعيل واسحق وأميهما هاجر وسارة ، ثم مضى إلى قصة يعقوب وابنه يوسف (عليهما السلام) ، ثم موسى وأخيه هارون (عليهما السلام) ، ثم عيسى (عليه السلام) ، ثم صور الجو قبل البعثة النبوية ، وأول الارجوزة قوله :

الحمد لله المُعيد المبدي
حمداً كثيراً وهو أهلُ الحمدِ
ثمَّ الصلاةُ أوّلاً وآخرا
على النبي باطناً وظاهراً
يا سائلي عن ابتداء الخَلق
مسألة القاصد قصد الحقِ (١)

ثم يجيب السائل بالاخبار الموثوقة عن مجريات التاريخ بالنسق المذكور سابقاً ... وفي القسم الثاني من الارجوزة تناول عصر صدر الاسلام والخلافة الراشدة منذ البعثة النبوية إلى خلافة بني امية ، وذلك في تسعة وثلاثين بيتاً ، وفي اولها يقول :

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢٢٨ .

ثـــم أزال الـظـلمـــة الـضـيّـــاءُ
وعـاودتْ جِـدّتهـا الأشيـاءُ

أتـــــاهـــمُ المنــتــخبُ الأواهُ
مُحمـدٌ صلّــى عليـه اللــهُ

أكـــرمُ خلـــق اللـه طُــراً نفســا
و مولـدا و محتـــدا جنســا (١)

ويسوق سيرته (صلى الله عليه وسلم) ، ثم قيام الصديق بالامر وموقفه من الردة وجهود الفاروق في الفتوحات الاسلامية ، واستشهاده ، ثم سيرة عثمان وعلي (رض الله عنهم اجمعين).

ويضم القسم الثالث أخبار بني أمية من خلافة معاوية إلى مروان بن محمد وهو في خمسة وثلاثين بيتاً ، يقول في أولها عن معاوية :

ثــمّ تــولــى أمــرهــمْ مُعــاويــه
فعاش عشــرا بعد عشر خاليه

حــتــى إذا وافــاهـم عشــرينا
مات من التاريخ في ستينا (٢)

ويأتي القسم الاخير في بني العباس الذي يوليه الشاعر اهتماماً أكبر من العصرين السابقين ، فيؤرخ للخلافة العباسية من السفاح حتى المستعين خلال تسعة واربعين بيتاً . وفي أول هذا القسم يقول :

حتى أتــى اللــهُ ولــيُّ الــنعمــه
بالحق منه رأفــةٌ و رحمــه

واخــتـــار للـنـاس أبـا العبـاس
من أنجد الناس خيار الناس (٣)

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢٤٢ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٢٤٢ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ٢٤٧ .

ويلاحظ على الارجوزة — فضلاً عن موضوعيتها وايجازها التعليمي — استعانتها بالقرآن الكريم ، والاحالة اليه في الامور التي فصلها الكتاب كقوله في قصة لوط (عليه السلام).

وقـال لـُوطٌ إنـني مـُهاجـرُ
وبالذي يـَأمـرُ قـومي آمـرُ
مـا قـد تـولـّى شـرحه القـُرآنُ
وفي القـُران الصدقُ والبيانُ (١)—

وبالمثل كانت اشارته إلى القرآن الكريم في قصة آدم وحواء مع ابليس ، وقصة يعقوب أبي يوسف (عليهما السلام)(٢).

واخيرا فنحن نقف على طائفة من الحكم والمواعظ في شعر ابن الجهم، يستمدهما من ثقافته العربية الاسلامية ، ومن تجاربه الخاصة المقترنة بظروفه العصيبة في السجن ، وتبقى هذه المادة الشعرية — على قرب مأخذها وبعدها عن العمق — وثيقة النسب بالقيم الاسلامية فمن ذلك قوله :

ولم أر أعـدى لامـرىء مـن قرابـة
ولا سيما إنْ كان جـارا أو ابنما
ومـن طـالـب المعـروف من غـير اهله
أطال عـناءً أو أطـال تندُّمـا
ومَن شكـر المعُرف استحـق زيـادةً
كـمـا يـَستحقُ الشكر مَن كان منعما
ومن سامح الايـام يـرض حـيـاتـهُ
ومَنْ مَنّ بالمعروف عـاد مذمما
ومن نافـس الاخوان قـلّ صـديقـه
ومَن لامَ صبّاً في الهوى كان ألوما(٣)

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢٣٤ .

(٢) راجع ديوان علي بن الجهم ص ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧.

(٣) ديوان علي بن الجهم ص ٢٠ .

وقد مهد الشاعر لهذه الابيات بما يعرف بتجاربه التي أثمرتها فقال :

خَليليّ من فرعي قريشٍ رزيتما
فتى قارعَ الأيامَ حتى تثلما

وأحكمه التجريب حتى كأنما
يُعاين من أسرارهِ ما توهما

ومن ضعفتْ اعضاؤه اشتدّ رأيه
ومن قومته الحادثات تقوما (١)

ومن مقارعة الايام وتقويم الحادثات كما أشار في القطعة السابقة — ضعفت عنده مثالية الاخاء والصحبة الحسنة كما يقول عن أصحابه الذين تنكروا له في محنته :

ولا يغررْكَ من وغدٍ إخاءٌ
لأمرٍ ما غدا حسن الاخاء

ألم ترَ مُظهرينَ عليَّ غشّاً
وهم بالامسِ إخوان الصفاءِ

بُليت بنكبةٍ فغدوا وراحوا
عليّ أشدّ أسبابِ البلاءِ

أبتْ أخطارهمْ أن ينصروني
بمالٍ أو بجاهٍ أو براءِ

وخافوا أن يقالَ لهمْ خذلتمْ
صديقاً فادعوا قدمَ الجفاءِ (٢)

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٩ والمراد بفرعي قريش : قريش البطاح وقريش الظواهر
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٨٣ ، والمراد بالكلمة الأخيرة من البيت الرابع (الرأي).

رابعاً — شعر الجهاد والحماسة الاسلامية :

كان لاحداث العصر في قمع الفتن والانحرافات الداخلية ، وفي الحروب الخارجية ضد الروم صدى كبير في شعر هذا العصر ، خاصة في عصر الخليفة المعتصم الذي تمكن من اخماد حركة بابك الخرمن ، (١) وفتح عمورية (٢) من بلاد الروم .

ونجد ديوان أبي تمام يزخر في مدائحه بمعاني الجهاد والحماسة الاسلامية خاصة بعد القضاء على رؤوس الضلال والكفر أصحاب الفتن الداخلية ، وبعد الانتصارات الجليلة التى حققها القادة على ثغور بلاد الروم .

وقد كان شاعرنا علي بن الجهم بما عرف من رجولته وشجاعته . وبما تحلى به من أخلاق العزة والاباء والانفة والشمم ، كان ممن سجل هذه المواقف البطولية الرائعة احتفاء بالنصر المبين ، وطربا وجذلا للفوز والظفر اللذين كتبا على يد الخليفة المنتصر المعتصم ..

وقد اشاد في قصيدته الوحيدة التي مدح بها المعتصم — بقتله المازيار وبابك الخرمي ، صاحبي الفتنة العمياء التي استعصت على من قبل المعتصم ، ودامت أكثر من عشرين سنة ، وكادت تزيغ قلوب الناس ، وعبر عن فرحة الأمة وتقديرها لفتح عمورية ببلاد الروم ، ثم ذكر مفخرة ثالثة للخليفة في قمعه حركة الزط (٣) على يد عجيف بن عنبسة .

وقد ساق هذه الانتصارات بصورة متتابعة لانها تأتي في اتجاه واحد ، وهو تحقيق العزة لهذا الدين والثأر له من اعدائه والانتقام له من الذين يحاربون الله ورسوله . يقول ابن الجهم :

(١) خرج بابك في خلافة المأمون سنة ٢٠١ هـ بالبذ بين اذربيجان وأران ، وهزم جيوشا كثيرة .. حتى ظفر به الافشين قائد المعتصم وأسره سنة ٢٢٣هـ ، فقتل وصلب بسامراء.

(٢) تم فتح حصين عمورية سنة ٢٢٣ هـ بعد اعتداء الروم على المسلمين بزبطرة حين شغل المعتصم بأمر الخرمي ، فبلغت الخليفة صيحة الأسيرة المسلمة وامعتصماه ! ، فخرج اليها ولبى نداءها ، وأعاد للمسلمين عزتهم ، وكرامتهم ..

(٣) معرب (جت) طائفة من أهل الهند يبلغ عددهم زهاء ثلاثين الفا ، وزعيمهم محمد بن عثمان خرجوا على الخليفة واثاروا الفساد فتمكن منهم سنة ٢١٩ هـ .

وأنت خليفة الله المعلّى
على الخلفاء بالنعم العظام ،

وليت فلم تدعْ للدين ثأرا
سيوفك والمثقفةُ الدوامي

نصبت المازيارَ على سحوقٍ
وبابكُ والنصارى في نظامِ (١)

مناظر لا يزالُ الدينُ منها
عزيزَ النصر ممنوع المرامِ

وقد كادت تزيغُ قلوبُ قومٍ
فأبرأتَ القلوب من السقامِ

وعمورية ابتدرتَ إليها
بوادرُ من عزيز ذي انتقامِ

فقعقعتِ السرايا جانبيها
وألحفتِ الفوارسَ بالسهامَ

رأت علمَ الخلافةِ في ذُراها
فخرتْ بين أصداءٍ وهامِ

وجمعَ الزطِ حينَ عمُوا وصمّوا
عن الداعي إلى دار السلامِ

أطلَّ عليهمُ يومٌ عبوسٌ
تعوّذُ منه أيامُ الحِمامِ (٢)

---

(١) المازيار بن قارن خرج على المعتصم بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ، وقبض عليه سنة ٢٢٥ هـ وقتل وصلب بجانب بابك في سامراء ، والمراد بالنصارى قائد الروم في عمودية ناطس، وقد صلب سنة ٢٢٤ هـ بجوار بابك والمازيار .

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٩ — ١١.

ولعل في اختلاف مذهب الشاعر عن مذهب الخليفة المعتزلي بعض السبب في عدم تعميق العلاقة بينهما ، وعدم انتاج شعر كثير يمجد مواقف الخليفة البارزة .

وانحسر نشاط الخليفة المتوكل على الثغور والعواصم . فلم يترك لنا شعراً لشاعر المتوكل يسجل هذه الاحداث ، ويبرز نشاطه العسكري ، لكننا نجد ابن الجهم مهنئاً المتوكل على فتحه أرمينه وقتله اسحق بن اسماعيل ، وقد نال جائزة كبيرة حين سمع الخليفة مطلعها الذي يقول فيه :

أهلاً وسهلاً بك من رسول
جئت بما يشفي من الغليل
بجملة تغني عن التفصيل
برأس اسحق بن اسماعيل
قهراً بلا ختل ولا تطويل

ثم وصف ابن الجهم جيش المتوكل ، وخيله المقاتلة ، ونزال الخليفة للمخذول ونصره العزيز فيقول :

جاوز نهر الكر بالخيول
تردى بفتيان كأسد الغيل (١)
معودات طلب الذحول
خزر العيون طيبي النصول (٢)
شعث على شعث من الفحول
جيش يلف الحزن بالسهول
كأنه معتلج السيول (٣)
يسوسه كهل من الكهول

(١) نهر الكر بارمينية يشق مدينة تفليس ، وردى الخيل رجمها الحصى بحوافرها
(٢) الذحول : الانتقام والخزر ضيق العين مما اتصف به الاتراك .
(٣) التطام امواج المسيل .

لا ينثني للصعب والذلول
علَى أغر واضحُ الحجول

حتى إذا أصحر للمخذول
ناجزه بصارمٍ صقيلِ (١)

ضرباً طِلحفاً (٢) ليس بالقليلِ
ومنجنيق مثل حلق الفيلِ

ترفض عن خرطومه الطويلِ
صواعقٌ من حجرِ السجيلِ

تترك كيد القوم في تضليلِ
ما كان إلا مثل رجع القيلِ

حتى انجلت عن حزبه المغلول
وعن نساءٍ حسّرٍ ذهولِ

صوارخٍ يعثرن في الذيول
ثواكلِ الأولادِ والبعولِ (٣)

والكلام عن شعر الجهاد والحماسة الاسلامية لدى الشاعر مرتبط بحياة الشاعر نفسه ، ففي حياته مايكشف عن رغبة الشاعر في الجهاد وارخاصه نفسه في سبيل الله .. فقد ورد عنه أنه — في آخر عمره — بعد خروجه من السجن وفقدانه أعز أصدقائه ، آثر العزلة بالحديث إلى القبور (٤) ثم أعد نفسه للخروج جهادا في سبيل الله ، وقد وافته منيته وهو بهذه النية الصادقة وأقدم مصادر ساق الخبر هو تاريخ الطبرى حيث يذكر سبب موته فيقول : « وكان سبب ذلك أنه توجه من بغداد إلى الثغر ، فلما كان بقرب حلب

(١) أصحر : برز ، والمناجزة : المنازلة .
(٢) الطلحف : الشديد .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٤ — ١٧٦ .
(٤) راجع الاغاني ٢٢٤/١٠ .

بموضع يقال له خُساف (١) لقيته خيل لكلب فقتلته ، وأخذ الاعراب ما كان معه .. » (٢)

ويورد خبر وفاته غازيا المرزباني أيضاً حيث يقول : «خرج متوجهاً للغزو فقتله أعراب من كلب » (٣) ، وبمثل هذا المساق أورد الخبر البغدادي فقال: «خرج من حلب متوجهاً إلى الغزو فخرجت عليه وعلى جماعة معه خيل من كلب فقاتلهم قتالا شديداً ، ولحق الناس وهو جريح بآخر رمق.. » (٤)

لكن التحريف وعدم الدقة في ذكر الخير وقع في بعض المصادر الأخرى ، إذ أنها تجعل سبب السفر غامضاً كالذي وقع من ابن خلكان حيث قال : «متوجها إلى العراق » (٥) بدلاً من الغزو في نص البغدادي السابق ، ولاجرم فان التحريف في هذه الكلمة منكر إذ لايصلح خروج من حلب إلى العراق — بعد أن أتى حلب من العراق — وانما الثغور تلي حلب ..

أما الخبر لدى المسعودي فأظهر خللاً — وربما يكون ذلك مقصوداً — فهو يذكر خبر خروجه يريد السفر» (٦) سنة ٢٤٩ ، والخروج نفسه يتضمن معنى السفر ، فلعل أصل الكلمة الثغر ، والتحريف ظاهر في نص المسعودي .

ويبقى صاحب الاغاني واضح الغرض (٧) في طمسه حقيقة سفر علي بن الجهم وتوجهه إلى الثغور ، وقد ساق في ترجمته خبرين جاء الأول غفلا

---

(١) خساف : برية بين بالس وحلب .

(٢) تاريخ الطبرى ٢٦٤/٩ وراجع الكامل ٧/ ١٢٤ .

(٣) معجم الشعراء ص ٢٨٦ .

(٤) تاريخ بغداد ٣٦٩/١١ وجاء النص مطابقاً له في المنهج الاحمد ١٢٢/١ .

(٥) وفيات الاعيان ٣/ ٣٥٦ .

(٦) مروج الذهب ٤١٠/٢ .

(٧) يورد محقق الديوان الاستاذ خليل مردم بك مطاعن الاصبهاني الكثيرة في الشاعر ، فقد روى مايدفع نسبه عن قريش ، وسمى مذهبه مذهب الحشوية ، وجعل غضب المتوكل عليه لسوء خلقه وتهتكه ، وجعل هجاءه لاجل المال ، ووصمه بأنه فصيح مطبوع وهو — في اصطلاحه — دون الشاعر الفحل ولم يكد يذكر شيئاً من محاسنه راجع مقدمة الديوان ص ٢٣ .

عن طبيعة خروجه (١) ، أما الخبر الآخر فقد الصق الاصبهاني به العيب والشنار ، وألحق به السوء والشر ، وجعل سفره للتخلص والنجاة من الناس حيث يقول : « لما شاع في الناس مذهب علي بن الجهم وشره وذكره كل أحد بسوء من صديقه وعدوه تحاماه الناس فخرج عن بغداد إلى الشام ..» فأين (٢) هذه الدواعي التي حملته على السفر من تلبيته داعي الجهاد الذي أوجب التطوع للقتال في سبيل الله بعد مقتل قائدين كبيرين من قواد الثغور الجزرية وعدد كبير من الجند ، وقد ساق الخبر ابن الاثير بصورة مفصلة فقال : « في صفر سنة ٢٤٩هـ شاع في بغداد خبر هاج له الناس وشغب الجند ، وذلك ان قائدين من أعظم قواد الثغور الجزرية هما عمر بن عبدالله وعلي بن يحيى قتلا مع عدد عظيم من جنودهما في غزو الروم ، وان الروم بعد مقتلهما كلبوا على الثغور الجزرية وعلى أموال المسلمين وحرمهم ، فهب الناس في بغداد وسامراء وأقبلت المتطوعة من نواحي الجبال وفارس والاهواز ، وأخرج أهل اليسار أموالا فرقوها فيهم ، وتلاحقوا نحو الثغر لغزو الروم » (٣)

وفي طريقه نحو الثغر لغزو الروم خرج عليه نفر من الاعراب الكلبيين ــ بخساف ــ فهرب من كان في القافلة من المقاتلة وثبت علي فقاتلهم قتلا شديداً ، وثاب الناس اليه فدفعهم ولم يحظوا منه بشيء .. فلما كان من غد خرج على القافلة منهم خلق كثير ، فتسرعت اليهم المقاتلة ، وخرج علي فيهم فاصابته طعنة قتلته ، فاحتمله أصحابه وهو ينزف دمه ، فلما أمسى قلق قلقاً شديداً وأحس بالموت ، .. ومات مع السحر فدفن في ذلك المنزل على مرحلة من حلب وفي شعبان سنة ٢٤٩ ورد على الخليفة المستعين كتاب صاحب البريد بحلب « ان علي بن الجهم خرج من حلب متوجهاً إلى الغزو ،

---

(١) راجع الاغاني ١٠/٢١٥ .

(٢) الاغاني ١٠/٢٣٣ .

(٣) الكامل ٧/١٢١.

فخرجت عليه وعلى جماعة معه خيل من كلب فقاتلهم قتالا شديداً ، وقتل(٧) .

وقد سجل شعره طرفاً من هذه الاحداث ، فصور المعركة التي خاضها ضد الاعراب ، وهي من أجود شعره ، وإن كان في القصيدة الوان من المبالغة — ، ففيها وصف يبرز المحركة — مجسمة مكبرة — في عنف أحداثها ودقة وقائعها ، ونشهد الاعراب قد اقبلوا من كل مكان وأثير — لكثرتهم — غُبار كثيف ، وقد أتوا معهم بالموت الزؤام حتى أصبح رأي العين ، عندها لم يكن بدٌّ من الاقبال دون احجام ، وقد كان لهم الشاعر شجى إذ لم ينالوا منه شيئاً يقول :

صَبَرتُ ومثلي صَبرهُ لَيسَ يَنكرُ
وليس عَلى تَركِ التقحم يُعذرُ

غَريزةُ جر لا اختلاقُ تكلفٍ
إذا خامَ(٢) في يوم الوغى المتصبرُ

ولمّا رأيت المَوت تهفو بنوده
وبانتْ علاماتٍ لَه ليس تُنكرُ

وأقبلتِ الاعرابُ من كلّ جانبٍ
وثارَ عجاجٌ أسودُ اللونِ أكدرُ

بكلّ مُشيحٍ مَستميتٍ مشمّرٍ
يَجولُ به طرفٌ أتبٌّ مشمّرٌ(٣)

بأرضِ « خُسافٍ » حين لمْ يَكُ دافعٌ
ولا مَانعٌ إلاّ الصَفيح المُذكر

فقلّل في عَينيّ عُظْمَ جُموعِهِمْ
عَزيمةُ قلبٍ فيه ماجَلّ يصغرُ

---

(١) تاريخ بغداد ٣٦٩/١١ .

(٢) جبن ونكص .

(٣) المشيح : المقبل عليك ، الطرف : الكريم من الخيل ، الاقب : الدقيق الخصر الضامر البطن.

بمعترك فيه المنايا حواسر
ونار الوغى بالمشرفية تُسعر

فما صنت وجهي عن ظبات سيوفهم
ولا انحزت عنهم والقنا تتكسر

ولم ألُ في حر الكريهة محجما
إذا لم يكن في الحرب للورد مصدر

اذا ساعد الطرف الفتى وجنانه
وأسمر خطيٌّ وأبيض مبتر

فذاك وإن كان الكريم بنفسه
إذا اصطكت الابطال في النقع عسكر

منعتهم من أن ينالوا قلامة
وكنت شجاهم والأسنة تقطر(١)

الآثار الاسلامية في الاغراض التقليدية :

لم يقتصر أثر الاسلام على الاغراض الاسلامية الخالصة التى برزت، في ديوان ابن الجهم ، من شعر عباسي ، وآخر مذهبي ، ثم شعر الاخلاق والآداب الاسلامية ، وشعر الجهاد والحماسه الاسلامية بل نجد الاثار الاسلامية مبثوثة منتشرة خلال الديوان كله .. مدحا وهجاء وفخرا وغزلا ورثاء ..

١ — **المديح** ويعتبر المديح من أبرز الاغراض في شعر على ، وتقوم معاني المديح على المثل الخلقية التى يعتد بها العربي منذ جاهليته من مروءة وسماحة وحزم وعفة ، وعزة نفس واباء ، وشجاعة وكرم ..

ويتضح أثر الاسلام في المديح حين يتضمن معاني تتصل بالقيم والمثل الاسلامية بحيث تجعل الممدوح مثلا عاليا وصورة يقتدي بها ، « وهي تضيف إلى مثالية الشيم والطباع مثالية اخرى من الحكم ، فتتغنى لهم بتقوى

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٣١ — ١٣٢ .

الله والتمسك بالشريعة وبالعدالة التى لاتصلح حياة الامة بدونها ..» (١)

ولم يكن ابن الجهم ـ الذي لم يمدح الا خليفة ـ متكسبا أو مستجديا في مديحه ، بل كان كما قال :

ومَا انا ممنْ سَار بالشعرِ ذكرُه
ولكن أشعاري يُسيّرها ذكري

وما الشعرُ مما استَظلُ بظلّه
ولا زادني قدرا ولا حطّ من قدري

ولكن إحسانَ الخليفة جَعفر
دعاني إلى مَا قُلت فيه من الشعر (٢)

فهو يذكر أنه لايتكسب بالشعر ، وهو لم يزده قدرا ، فقد كان نابه الذكر قبل أن يعرف شاعراً ، ثم اعتذر عن قوله الشعر لانه لم يصنعه فيمن دون الخليفة ، ويعلق ابن رشيق القيرواني قائلا عنه : « وما كفاه ذلك حتى جعل نفسه بازاء الخليفة بل مكافئا له بشعره على احسان بدأه الخليفة به ، ولم يرض أن يجعل نفسه راغبا ولا مجتديا » (٣).

والشاعر حين يمدح الخليفة يقول بانه يصلح الفاسد ويمنع الفاحشة ويأمر بالعدل والاحسان ويتمسك بالدين، وهو يجمع الامة على الخير ويذب عنهم الاعداء ويدفعهم، ويبسط الامن على البلاد. نجد هذه الصبغة في مديح شعراء العصر العباسي الاول عامة مثل بشار ومروان وسلم الخاسر وأبي العتاهية وأشجع

(١) العصر العباسي الاول د. شوقي ضيف ص ١٦٠ .

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١٤٦، ٢٥٣ .

(٣) العمدة ٤٢/١ وقد أنكر بعض الباحثين قيمة هذا الغرض لانهم عدوه شعر تكسب مطلق اتخذ وسيلة للاستجداء والكدية ، وليس الامر كذلك فقد كان مظهراً احضارياً طبيعياً، وعنصر الصدق لايمكن الغاؤه من هذا الغرض لان المكافآت المادية لم تكن الباعث الوحيد للمديح ولاسيما وقد كان في الممدوحين من الصفات ماجعلهم أهلا لهذا المديح . راجع التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول ص ١٦٠ .

السلمي وغيرهم. ولكننا نجدها بصورة أوضح لدى أبي تمام وعلى بن الجهم في مديحهما للخليفة المعتصم والواثق والمتوكل.

فعلى بن الجهم في قصيدته الوحيدة في الخليفة المعتصم يصدر من هذه المشكاة إذ يضمنها معنى جلال ملكه حين دانت الدنيا له، كما عزّ الاسلام به، فيدعو له بطول البقاء مع تأييد الخلافة بابنه فيقول:

ليهنك يا أبا اسحق مُلك
يجلُّ عَن المَفاخر والمُسامي

لسيفك دانت الدنيَا وشُدّت
عُرى الاسلام من بَعد انفصام

فايّدنا بهارونٍ وانّا
لنَرجُو أن تُعمّر ألف عَام (١)

كما يمدح الواثق الذي تعشقه الخلافة، فيجعل الشرف متشرفاً به إذ جمع القلوب وهي مختلفة — على طاعته(٢)، وهو يناصح ربه ويهب أمواله للغير، وصارت حجته عالية، وحزبه حزب الله(٣). والملاحظ أن عناصر المدح عند الشاعر لم تكن متصلة بالدين فحسب ولا متجردة للدنيا، بل جامعة بينهما، وهو أمر ينبع عن التصور الاسلامي الذي يدعو اليه تعالى بقوله: « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا»(٤)، فيقول ابن الجهم بمناسبة بيعة الواثق بالخلافة :

قد فَاز ذُو الدنيا وذوْ الدين
بدولة الواثق هَارون

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١١ .
(٢) راجع ديوان علي بن الجهم ص ١٥ .
(٣) راجع ديوان علي بن الجهم ص ١٦ .
(٤) القصص آية ٧٧ .

أفــاض مـن عـدلٍ ومــــن نـائـل

ما أحسن الدنيا مع الدين (١).

وبمثل هذا المعنى مدح المتوكل إذ يقسم بالله على حسن قيام المتوكل بأمر الدين والدنيا فيقول :

لا والــذي يُعـرفُ بالعقــــول

مــن غيـر تحديدٍ ولا تمثيل

مـا قـام للـّـــه وللرســول

بالديـــن والدنيا وبالتنزيلِ

خليفةٌ كجعفرِ المأمولِ (٢)

وتأتي مدائح الشاعر في المتوكل كثيرة غزيرة، تحتل ربع ديوانه وتبلغ اثنتي عشرة قصيدة ،وتمثل ألواناً متنوعة سياسياً ودينياً واجتماعياً وذاتياً شخصياً (٣) فقد وجد الشاعر في الخليفة الامام المنتظر – لا تفاقهما في الرأي والمذهب ،وتشددهما في التسنن – فأكثر في مدحه وتفنن فيه ومن أوائل مدائحه ما قاله لما بويع حيث جعله أنور من الشمس حسناً. ومدحه بالفصاحة والفروسية والكرم والبأس الشديد في الحروب فقال :

وقائــلٍ أيـّهمــا أنــورُ

الشمسُ أم سيّدنــا جعفرُ

قلــت: لقـد أكبرتَ شمسَ الضحى

جهـلا ومـا أنصفتَ من تذكرُ

هـل بقيــتْ فيــك مجوسيـةٌ ؟!

فالشمـسُ في ملّتهـا تكبـرُ

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٨٨ .

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٦ .

(٣) راجع علي بن الجهم حياته وشعره ص ١٠٣ .

أحسنُ خلقِ اللهِ وَجهاً إذا
بَدا عليهِ حُلةٌ تُزهرُ

وأخطبُ الناسِ عَلى منبرٍ
يختالُ في وَطأتهِ المنبرُ

وَتطربُ الخيلُ إذا ما عَلا
مُتونَها فالخيلُ تَستبشرُ

وترجفُ الارضُ بأعدائهِ
إذا عَلاهُ الدرعُ والمغفرُ

قالَ: وأينَ البحرُ من جوده؟!
قلتُ: ولا أضعافُهُ أبحرُ

البحرُ محصورٌ لهُ برزخٌ
والجودُ في كفيهِ لا يُحصرُ

قال: وكيف البأس عند الوغى؟!
قلتُ: أتاكَ النبأُ الاكبرُ

قالَ وأهلُ الارضِ في رجفةٍ
يخبطُ فيها المقبلَ المدبرُ

فأمّرَ اللهُ أمامَ الهُدى
واللهُ من يَنصُرُهُ يُنصَرُ (١)

والقصيدة طويلة شرح فيها الشاعر خطة الخليفة في الحكم وسياسة الامة فكانت أشبه بما يسمونه اليوم بخطاب العرش، وحمل فيها على المعتزلة وغلاة الشيعة وغيرهم من أهل البدع والاهواء (٢)

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٧١، ويمثل هذه المعاني وصفه بالرحمة والبأس والكرم ص٣٤
(٢) راجع مقدمة ديوان علي بن الجهم ص ٣٤ .

ويتكرر مدح الخليفة بحسن الطلعة. فهي – في قصيدة أخرى – تجاوز الشمس والبدر تألقاً حيث يقول :

فتَـــى تَسعَـــدُ الأبصارُ في حسنِ وجهِــه
كمَـا تسعـدُ الأيـدي بنائلهِ الغَمرُ
أليسَ إذا ما قاسَ بالشمـــسِ وَجهَـهُ
وَبالبدرِ قُلنا خافٍ للشمسِ والبدرِ (١)

ثم يبدىء ويعيد بمدحه بالكرم والسخاء، فضلاً عن إسعادة الايدي، فهو يفرق شمل المال ولا يجمعه إلا لبذله حتى شبه القطر والندى بجوده الذي فاق سبعة أبحر :

وفـرّق شَمـلَ المالِ جُـودُ يمينِـه
عَلى أنّـه أبقَى لَه أجملَ الذكرِ
وَلا يجَمـعُ الأمـوالَ إلا لبذلهـا
كما لا يُساقُ الهَدي إلا إلى النحرِ(٢)
وان قال ان البحر والقطر أشبها
نَداهُ فقَد أثنَى عَلَى البحرِ والقَطرِ
وَلوقرنتْ بالبحرِ سَبعةُ أبحـــر
لما أدركتَ جَدوَى أنامله العَشر(٣)

وفي القصيدة مديح له بغيرته الاسلامية ، وقتاله الملحدين والمنحرفين ، كما تتضمن معاني تتصل بسداد رأيه ورشاده .

وفي قصيدة ثالثة يمتدحه بحسن تدبيره الامور . وسخائه وحسنه وكماله وشجاعته المعتصمية (٤) وفي قصيدة أخرى قدمها في مرض الخليفة –

(١) ،(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥٤ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥٤.
(٤) راجع ديوان علي بن الجهم ص ١٥٤ .

امتدح فيها عدله – ببيان الحال قبل خلافته ثم بعدها – فقد اطمأنت زلازل الشرق والغرب ، واستقرت الحوادث التي أخلت بالموازين وقلبتها ، فارعوى الظالم وكف الجاهل والله ناصره مادام متوكلا عليه :

ثمَّ لما أقالك الله للدِّيـ ـن
وَصَحَّتْ فروعُه والأصولُ

أنِسَ البُرد والقضيب وَهَزَّ الـ ـملك عِطفَيه واستبانَ السَّبيلُ

واطمأنَّت زلازل الشَّرقِ والغَـر بِ وغاضَتْ عن الصُّدور الذُّحُولُ

واستقرتْ حوادثٌ ذلَّ فيها عِزُّ قَوم وعَزَّ فيها الذليلُ

وارعَوى ظَالمٌ وكفَّ جَهُولٌ وأظلَّ الوليَّ ظلٌّ ظليلُ

فَهَنيئا للملكِ صحَّة راعيـ ـه وللدِّينِ عزه الموصول

حسبُكَ الله نَاصرا اذْ توكلـ ـتَ على اللهِ وَهْوَ نِعمَ الوكيلُ (٣)

ويتكرر ذكر توكله على الله المشتق من اسمه – في مدحة خصه بها لانه كفء لها وهو يثأر للدين الله :

خُصَّ الخليفةُ جعفرُ بـ ـنُ محمّدٍ بِثَنائهـا

مَازَالَ مِنذ وَلِيَ الخلا فَةَ وارتَدى بِردائِهـا

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥ ويتكرر مدحه بالعدل والقوة والجود ص ١٢٦ .

متوكلا فيها على
من خصه بسنائها
تدنيه أمة أحمد
للثأر من أعدائها (١)

وأخيراً يمدحه بوراثته الارض ، وأن الخلافة تشتاق اليه سريراً ومنبرا وقد غنما به . وأصبحت الايام كلها بوجوده أعيادا :

ياوارث الأرض الذي أصبحت
أقطارها من نوره تزهر
قد كان مشتاقاً إلى خطبة
منك سرير الملك والمنبر
ياشهر ذي الحجة قد أصبحت
تشبهك الأيام والأشهر (٤)

وقد كان من امتداد مديحه شعره العباسي والسنى مما سبقت دراسته ..

٢ ـ الهجاء :

يقوم الهجاء على فكرة تجريد المهجو من القيم والمثل والاخلاق. والكشف عن عيوبه ونقائصه بقصد اهانته والازراء به ، وهو اعلى انواع شخصي وسياسي واجتماعي وديني . والصنف الأخير يعتمد على التعريض بالعقيدة الفاسدة والمذهب المنحرف القائم على الاهواء . وقد شاع هذا الاتجاه في شعر العصر العباسي الاول بتوجيه الاتهام للزنادقة والمنحرفين من أصحاب المذاهب الهدامة . وكان ــ في تكوين المجتمع وثقافته ــ مايدعو الى ذلك . فانتشار المجون والزندقة وانواع الشذوذ كان ــ كما

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٣٩ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٢٧ .

يقول الدكتور هدارة — يغري الشعراء بتضمين اهاجيهم مثل هذه الاتهامات الخطيرة (١) .

عرف ابن الجهم شاعرا هجاء كما يقول ابن المعتز (٢) ، وفي لسانه كما يقول المسعودي «فضل قلّ من سلم معه منه» (٣) ، «غير أن مكانة الشاعر وتسننه ، وتدينه وحياءه الذي كان يكفه عن كثير من القبائح .. عقل لسانهِ بعض الشيء — فلم يفرط في الهجاء افراطا يسلكه في عداد شعراء الهجاء الذين طبع شعرهم كله بهذا الطابع من أمثال دعبل وغيره (٤) ، وإن كانت تنتابه — أحياناً — حمية جاهلية تطغى على ماطالما تمدح به من التدين والأخذ بآداب السنة (٥) ، وبواعث الهجاء — عنده — تتصل بـالخصومـات السياسية ، والخصومات المذهبية ، الدينية ، والخصومات الشخصية ، والتملح والتظرف (٦) .

ومما نلمسه من الآثار الاسلامية في هجاء الشاعر على ، ماجاء في جوابه لابي طالب الجعفري الذي هجاه هجاء موجعا ، فلم يجبه ابن الجهم ، وأرسل أبو طالب يعتذر اليه فكتب اليه الشاعر :

لم تذقني حلاوةَ الانصـــــاف
وتعسَّفْتَني أَشـدَّ اعتســافِ

وتركتَ الوفاءَ جَهـــــلا بمـــا فيـــهِ
فأسرفتَ غايةَ الاســرافِ

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٤٢٦.
(٢) طبقات الشعراء ص ٣٢٠ .
(٣) مروج الذهب ٤١٣/٢ .
(٤) علي بن الجهم حياته وشعره ص ١٤٠ .
(٥) ديوان علي بن الجهم المقدمة ص ٣٨ وراجع ق ٤٠ ص ١٢٣ .
(٦) راجع علي بن الجهم حياته وشعره ص ١٤٠ .

غَيرَ أني إذَا رَجعتُ إلى حَـ
قّ بني هَاشم وبني عَبدِ مُنافِ
لَم أَجدْ لي الى التشفّي سَبيلا
بِقواف ولا بغيرِ قَوافِ
لِيَ نَفسٌ تَأبى الدنيّةَ والأشـ
رافُ لاتَعتَدي عَلى الأشرافِ (١)

وكأن الشاعر جعل للشرف والمكانة حقوقاً وموجبات دعته الى مثل هذا السلوك .. ومن طبيعة الشاعر خلال هذا الموقف نستبعد أن يكون للشاعر هجاء في علي (رضى الله عنه) مما اتهم به ، كما لم نجد لديه هجاءً لافراد أهل البيت أنفسهم ..

ومما وصل الينا من هجاء الشاعر ماتقص به هجاء مروان الاصغر في مجلس المتوكل ، ونلمح فيه بعض الآثار الاسلامية إذ يقول فيه :

بَلاءٌ لَيس يشبهُهُ بَلاءُ
عَداوةُ غَيرِ ذي حَسَبٍ وَدينِ
يُبيحُكَ منه عِرضَاً لَم يَصنه
ويَرتَع منكَ في عِرضٍ مَصونِ (٢)

وقد عابه بقلة الدين ، كما عاب عمر بن الفرج الرخجي بكبره وبخله فقال فيه :

جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما
تيه الملوك وأفعالَ المماليك
أردت شكرا بلا بّرٍ ومرزئة
لقد سلكت طريقاً غير مسلوك

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٥٤ ، ونلمح هذه الروح في شعر أبي تمام راجع ديوانه ٢٩٦/٤
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١٨٧ .

ظننت عرضك لايُرمى بقــــارعــــة
ومأراك على حــــال بمتروك (١)

وعاب آخر بقلة العقل وشدة الغرور فقال : —

لَو كانَ عجبكَ مِثل لبّك لم يــــكـنْ
لكَ وَزن خَردلةٍ مــــن الاعجابِ

أوكانَ لبكَ مِثــلُ عَجبـك لمَ يـــكنْ
أحَدٌ يفوقُكَ مِن ذَوي الالبابِ(٢)

ويهجو علي بن الجهم زيد بن منصور ببخله بطريقة ساخرة فيقول :

مَاكنت أحسب أن الخبزَ فاكهــــةٌ
حتىّ نزلتُ علَى زَيدِ بن منصورِ

الحابسُ الروث في أعفاجِ بَغلتـــه
خَوفاً عَلى الحَبّ من لقطِ العَصافيرِ (٣)

وكان من امتداد هجائه — في اطار الخصومات المذهبية الدينيه — شعره السنى خاصة ماورد منه في ابن أبي دؤاد ، وفي عبد الملك بن الزيات وغيرهما من أهل البدع والاهواء (٤) . وكان من امتداد هجائــه في إطار الخصومات السياسية شعره العباسي ..

٣ — الرثاء: يتضمن الرثاء معنى الندب والبكاء على الميت او التأبين بالثناء عليه وذكر مناقبه، والتعزية والمواساة، وتبرز المعاني الاسلامية واضحة جلية في المتوفى وذكر محامده وخصاله التي عرف بها شجاعة وكرماً ووفاء وسيادة.

وفي رثاء الشاعر الخليفة المتوكل يمتدحه بمعان تذكر بمدائحه له — حياً — مع ذكره لوقائع حادثة اخترام المنية له، وموقف جنوده منه، واشادته بموقف

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٦١، وراجع فيه ايضا ص ١٢٤ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١١٣ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥٧ .
(٤) راجع فيهما ديوان علي بن الجهم ص ٨٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ وص ١١٨.

الفتح بن خاقان ، ثم حسرته على غيبة الطاهريين وهو يعزى بني هاشم على مصابهم ،ويذكر الاسباب التي أودت بالخليفة في اجتماع عصبة الزنادقة ، وبعد أهل النصح عنه ... ونقتطف بعض المعاني من قصيدته الطويلة حيث يقول :

بَنُو هَاشِمٍ مِثْلُ النّجُومِ وإنّمَا
مُلُوكُ بَنِي العَبّاسِ منها سُعُورُها
بَنِي هَاشِمٍ صَبْراً فَكُلُّ مُصِيبَةٍ
سَيَبْلى عَلَى طُولِ الزّمانِ جَدِيدُها
عَزِيزٌ عَلَينَا أَنْ نَرى سَرَوَاتِكُم
تُفَرّى بأيدِي الناكثينَ جُلودُها
فيا ناصرَ الاسلامِ غَرّكَ عُصبَةٌ
زَنادِقَةٌ قَدْ كُنتَ قَبلَ أذودُها
أشاعَ وزيرَ السُّوءِ عَنْكَ عَجايِباً
يُشيدُ بها في كلِّ أرضٍ مُشيدُها
وبَاعدَ أهلَ النُّصحِ عنكَ وأوغرت
صُدورُ المَوالي واستسّرتْ حقودها
فَطُلَّ دَمٌ ما طُلَّ في الارضِ مِثلُهُ
وكانت أمورٌ ليسَ مثلي يُعيدها (١)

والقصيدة ـ كما هو ملاحظ ـ تنم عن مودة الشاعر ووفائه الكبير للخليفة.

وفي رثاء الشاعر لعبدالله طاهر نلحظ الاثر الاسلامي كذلك حيث يجعله من أركان الاسلام والظل الظليل والحمى العزيز. وقد مات الشاعر بموته. وان كان عبدالله حياً دائم الاحسان والانتقام فيقول:

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٦٢ ـ ٦٤ .

أيُّ ركنٍ وهى من الاسلام ... أيُّ يومٍ أخنى على الأيامِ

سلبتنا الأيامُ ظلاً ظليلا ... وأباحت حمىً عزيزَ المرامِ

نحن متنا بموته وأجلُّ الـ ... ـخطبِ موتُ السادات والأعلام

لم يمتْ والاميرُ طاهرُ حيٌّ ... دائمُ الانتقامِ والإنعامِ

وهو من بعدهِ نظامُ المعالي ... وقوام الدُّنيا وسيفُ الإمامِ (١)

٤ ــ **الغزل :** تنوعت أصناف الغزل في العصر العباسي ، فتميز أحدها بالعفة والحفاظ والمودة الدائمة ، والتجرد عن الشهوات وتجنب المنكرات ، وقدعبر شاعرنا في غزله عن هذه المعاني فهو يجعل الهوى من الخلق الكريم لانه سجية لا تسمو اليها همم اللئام فيقول :

خليليَّ الهوى خلقٌ كريم ... تُقصِّرُ عنه أخلاقُ اللئامِ

وفاءً إنْ نأتْ بالجارِ دارٌ ... ورعياً للمودةِ والذِّمامِ (٢)

وفي قصيدته الرصافية يذكر صاحبته ظلوم . ويجري حوار بينهما يكشف فيه عن خلقه المتميز بالستر والحفاظ والادب الجم . ويرد على سوء ظن صاحبته به التي تتوقى ذيوع أمرها واشتهاره فيقول :

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٨٢ ــ ١٨٣ .

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٥ .

وَما أنسَ لا أنسى ظلومَ وقولها
لجارتها: ما أولعَ الحبَّ بالحر

فقالت لها الاخرى: فما لصديقنا
معنّىً وهل في قتله لك من عذر؟!

فقالت: أداري الناسَ عنه وقلّما
يطيبُ الهوى إلا لمنهتكِ السترِ

وايقنتا أن قد سمعتُ فقالتا:
من الطارق الساري إلينا ولا ندري؟!

فقلت: فتىً إن شئتما ستر الهوى
وإلا فخلاعُ الاعنّةِ والعذرِ

على أنه يشكو ظلومَ وبخلها
عليه بتسليمِ البشاشةِ والبشرِ

فقالت: كأنّا بالقوافي سوائراً
يردن بنا مصرا ويصدرن عن مصر

فقلت: أسأتِ الظنَّ بي لستُ شاعراً
وان كانَ أحياناً يجيشُ بهِ صدري

صِلي واسألي مَنْ شئتِ يخبرك أنني
على كلِّ حالٍ نعمَ مستودعُ السرِّ (١)

اقتباسه من الكتاب والسنة :

سبق في دراسة حياة الشاعر علي بن الجهم أن وقفنا على نشأته وثقافته، وما تميز به من دين متين وعقيدة سليمة، وخلق رفيع وأدب جم .. ثم وقفنا مرة أخرى على أغراض الشاعر الاسلامية البارزة، ثم أخيراً على آثار الاسلام في أغراضه التقليدية العامة.

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥٣ ، وراجع ص ١٢٩ في معنى التزامه الود ، وراجع ص ١٠٨ .

ولعل مما يكمل صورة الشاعر الاسلامية الوقوف على ظاهرة بارزة في شعره، وهي اقتباسه الواسع من معاني القرآن الكريم والسنة المشرفة، وتضمينها في شعره، وقد ورد - فيما سبق - شيء من ذلك بصورة عرضية.

والظاهرة الشاخصة في ديوانه كثرة استخدامه الالفاظ والمصطلحات الاسلامية فأشعاره مشحونة بمثل هذه المفردات: الله، الرسول، الدين، كتاب الله، الطهر، الصلاة، الصيام، الحجيج، ذو الحجة، مكة، المقام، السقاية، الجنة، النار، المحشر، الشورى، المنبر، الفرض، البدعة والبدع، السنّة، الاعتزال، الروافض، التشيع، المجوسية النصارى، الكفر، الفتنة، الردة، الذنب، صفر. ومن الاعلام القرآنية داود عليه السلام)، وابو بكر الصديق (رضى الله عنه)

وفي قصيدة واحدة وهي التاسعة من ديوانه تدور هذه الكلمات والمفردات الاسلامية: الجبار، الامام، الخلافة، المسلم، الزنادقة، النصارى، الكافر، الملحد، سليمان وشياطينه سجدا(١) ..

ومن شعره الظاهر الاقتباس من القرآن الكريم قوله في مدحه للمتوكل:

فَأمرُ الله إمامُ الهدى
واللهُ من ينصُرُهُ يُنصَرُ

وفوِّض الأمرَ الى ربِّه
مُستنصراً إذْ ليس مُستنصَرُ

إنّي توكّلتُ على الله لا
أشركُ بالله ولا أكفُرُ

أشكُرُه إنْ كُنتُ في نعمةٍ
منه وإنْ أذنبْتُ استغفرُ

---

(١) راجع ديوان علي بن الجهم ص ٧١ .

فليس توفيقي إلا به
يعلمُ ما أخفي وما أظهرُ

وانفضّت الاعداءُ من حوله
كحُمْر أنفرها قسورُ (١)

فالبيت الاول يتضمن قوله تعالى : « ولينصرن الله من ينصره » (٢) ، والبيت الثاني يتضمن قوله عز وجل : « وأفوض أمري الى الله »(٣) ، ومعنى التوكل في البيت الثالث يرد في آيات كثيرة منها قوله تعالى : « اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة .. » (٤) ، ومعنى الشكر على النعمة والاستغفار من الذنب الذي ورد في البيت الرابع يتردد في القرآن كثيراً منها قوله تعالى : « فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واشكروا نعمة الله » (٥) ، وقوله تعالى : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » (٦) ، وقد ورد معنى الشكر على النعمة – بصورة أصرح – بمواضع اخرى من ديوانه كقوله :

فَشكراً لأنعُمِه إنَّه
إذا شُكرت نعمةٌ جَدَّدا (٧)

وهو يطابق قوله تعالى : « واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم .. » (٨)
وفي البيت الخامس يأتي معنى استمداد التوفيق من الله على حد قوله تعالى :

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٧٤ .
(٢) سورة الحج آية ٤٠ .
(٣) سورة غافر آية ٤٤.
(٤) سورة هود آية ٥٦ وراجع يوسف آية ٦٧.
(٥) سورة النحل آية ١١٤ وراجع سبأ آية ١٥.
(٦) سورة النساء آية ١١٠ وراجع آل عمران آية ١٣٥ .
(٧) ديوان علي بن الجهم ص ٧٩ وراجع ص ١٢٧.
(٨) سورة ابراهيم آية ٧ .

« وما توفيقي إلا بالله » (١) والشطر الثاني من البيت نفسه يتصل بعلم الله بما نخفي وما نظهر ، وقد ورد في آي القرآن الكريم نحو قوله تعالى : « ربنا انك تعلم مانخفي ومانعلن » (٢) . وفي الشطر الثاني من البيت الاخير يقتبس قوله تعالى : « فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حُمُر مستنفرة فرت من قسورة » (٣).

وتشيع مفردات القرآن الكريم وألفاظه في مواطن كثيرة من شعر علي بن الجهم . وتتردد صفات الله تعالى في شعره . فهو اللطيف الخبير . وهو نعم المولى ونعم النصير يقول ابن الجهم :

كان يبلوك بالرجاء وبالخو
ف اختبارا وهو اللطيفُ الخبيرُ

ثُمّ ولاك ناصراً لك مولا
ك فنعم المولى ونعم النَّصيرُ (٤)

وهو الناصر والوكيل يقول علي :

واللهُ ليس بغافل عن أمره
وكفى بربِّك ناصراً ووكيلا (٥)

بل هو نعم الوكيل :

حَسبكَ اللهُ ناصراً إذ توكلـ
ـت على الله وهو نعم الوكيل (٦)

---

(١) سورة هود آية ٨٨.

(٢) سورة ابراهيم آية ٣٨ وراجع آل عمران آية ٢٩.

(٣) سورة المدثر آية ٥١ .

(٤) ديوان علي بن الجهم ص ٣٦ وراجع قوله تعالى الملك آية ١٤ والحج آية ٧٨.

(٥) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٣ وراجع قوله تعالى في النساء الآية ٨١ ، ١٣٢ .

(٦) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥ وراجع آل عمران آية ١٧٣

والله بالغ أمره واليه المرجع :

والله بالغ أمره في خلقه
واليه مرجعنا غداً والمورد (١)

ومن صفاته تعالى مراقبته التي جاءت في قوله تعالى : « إن ربك لبالمرصاد »(٢) وقد ضمن الشاعر هذه الآية فقال :

فذق الهوان معجلاً ومؤجلا
والله رب العرش بالمرصاد (٣)

والظاهرة الواضحة الملفتة للنظر أن أكثر اقتباسه وتضمينه لآي القرآن الكريم يرد في اغراضه الاسلامية الخالصة ، كما نجد ذلك في شعره المذهبي والعباسي والاخلاقي ، فكأنه بذلك يبغي المواءمة بين معانيه وأغراضه الشعرية ، ومن هذا القبيل قول الشاعر في اثبات عباسيته :

نحن أشياعكم من أهل خراسا
ن أولو قوة و بأس شديد (٤)

وفيها تضمين لقوله تعالى « قالوا نحن أولو قوة وألو بأس شديد » (٥) .

وفي مجيء الخليفة على القدر الموافق له تشابه بمن تم ميقاته فنزلت عليه النبوة مما ورد في قوله تعالى « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمة ربه .. » (٦) ، ومن آثار الآية كان قول الشاعر :

فلما كملت لميقاته
وقاد الأمر إذ قادا (٧)

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٤٧ وراجع قوله تعالى في الطلاق آية ٣.
(٢) الفجر آية ١٤ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٦٩ .
(٤) ديوان علي بن الجهم ص ٣٤ .
(٥) سورة النمل آية ٣٣ .
(٦) سورة الاعراف آية ١٤٣.
(٧) ديوان علي بن الجهم ص ٧٨.

وقد ورد في معانيه الخليقة – التي عبر فيها عن أدب النفس الرفيع في العزة والمنعة والترفع – ماكان مقتبساً من القرآن الكريم .. فمن ذلك حسن ختامه لرائعته اللامية التي قالها مجرداً بالشاذياخ حيث يقول :

ولَيَعلَمُنَّ إذا القُلوبُ تَكشَّفَتْ
عنها الأكنّةُ من أضَلُّ سبيلا..؟ (١)

والمعنى قريب من قوله تعالى « وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا » (٢) وفي معنى التوكل على الله والضراعة اليه يبث حزنه اليه تعالى كما قال تعالى عن أبي يوسف (علية السلام) : « إنما أشكو بثي وحزني الى الله » (٣) في هذا المعنى يأتي قول الشاعر ابن الجهم :

ولِمْ لا أشتكي بَثّي وحُزني
إلى مَنْ لا يَصَمّ عن النداءِ (٤)

ويستعين الشاعر في تجربته التعليمية بالقرآن الكريم – خاصة وقد جعله من مصادره التي نص عليها في مستهل الارجوزة – فيحيل اليه في الامور التي وضحها القرآن الكريم وفصلها فيقول في قصة آدم وحواء :

غرّهُما أبليس فاغترا به
كما أبانَ اللهُ في كتابه (٥)

ثم يقول عن توبة آدم :

ولمْ يَزلْ مُستغفراً من ذنبه
حتى تلَقّى كلماتِ ربه (٦)

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٤ .
(٢) الفرقان آية ٤٢ .
(٣) يوسف آية ٨٦ .
(٤) ديوان علي بن الجهم ص ٨٢.
(٥) ديوان علي بن الجهم ٢٢٩ وراجع سورة الاعراف آية ٢٢
(٦) ديوان علي بن الجهم ص ٢٢٩ وراجع البقرة آية ٣٧ .

ويقول في مدة دعوة نوح (عليه السلام) كما قال تعالى عنه :

فـأرسل اللهُ اليهـم نُـوحـا
عَبـدا لمـن أرسلـهُ نَصوحـا

فعـاش ألفاً غيـر خمسين سَنـه
يَدعُـو الى الله وتمضي الأزمنة (١)

ومثل ذلك تأتي اشارته الى اسحق ويعقوب (عليهما السلام) بما ورد في الكتاب عنهما حيث يقول :

وعَجبت سـارةُ لمّـا بشـرت
بـه فصكّت وجهَهـا وذعرت

قالت : وأنّى تلدُ العجـوزُ
قيـل : إذا قـدّره العـزيـز (٢)

ثم يقول :

فكان مـن قصة يَـعقـوب النبـي
مـا ليس يخفـى ذكـرُهُ في الكتب

قـد أفـرد اللـهُ بـذاك سـورةً
معروفةً بيوسفٍ مشهـورة (٣)

وفي معاني شعره الحماسي يقتبس — بمناسبة الانتصار في ارمينية — من سورة الفيل التي سجلت نصر الله على ابرهة باغي الهدم للكعبة المشرفة فيقول :

تَـرفَضُّ عَـن خُـرطُومـه الطّويل
صَـواعقٌ من حَجَر السِّجّيل

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢٣٢ وراجع العنكبوت آية ١٤ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٢٣٦ وراجع الذاريات آية ٢٩ وهود آية ٧٢ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ٢٣٧ والاشارة إلى سورة يوسف واضحة .

تَتَـركُ كيـد الـقـوم فـي تَضليـــل
ما كان إلا مثلُ رجْع الفيـل (١)

وبمناسبة النصر المؤزر الذي تم على المازيار وصف حال الناس قبل هذه الفتنة المستعصية فقال :

وقـدْ كَادتْ تَـزيغُ قُـلـوبُ قـــوم
فَأبرأت القلوبُ من السّقام (٢)

والاقتباس واضح من قوله تعالى : «من بعد ما كان يزيغ قلوب فريق منهم» (٣)

ومما اقتبسه من القرآن الكريم في رثائه الخليفة المتوكل الذي قبض وكان الموت محتماً عليه قوله :

لَعـزّ عَـلى أيـدي المَنـون اخترامُـهُ
وانْ كان مَحتوماً عليه وُرُودُها(٤)

والمعنى يوافق الآية الكريمة : «وان منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً» (٥)

وآثار القرآن الكريم في ديوانه من الكثرة والاستفاضة ما يتعذر معه ايراد النصوص كلها. وفيما سبق من الشواهد مغنى وبلاغ (٦)

ومن آثار السنة المطهرة في شعره ما ورد في شعره الذي يدعو إلى مكارم الاخلاق الذاتية في الجود والسخاء حيث يؤكد زيادة المال ونمائه بالعطاء فيقول :

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٦ والاشارة إلى سورة الفيل واضحة.
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٩
(٣) التوبة آية ١١٧ .
(٤) ديوان علي بن الجهم ص ٦١.
(٥) مريم آية ٧١ .
(٦) راجع ديوانه في العصر الجميل ص ٢٢ ، وزوال الجبال ص ٢٣، وخشوع الوجود ص ٨٨ ، وخفض الجناح ص ١٧٨ ، وآية للسائلين ص ١٨٥

وليس يَبيدُ مَالٌ من نـوال
ولا يُؤتى سَخيٌّ من سَخاء

كَما أنَّ السُؤال يُذل قوماً
كذاك يُعز قوماً بالعطاء (١)

والمعنى في البيت الأول وثيق الصلة بقوله (صلى الله عليه وسلم) : «ما نقصت صدقة من مال» (٢)

والمعنى في البيت الثاني ملابس لقوله (صلى الله عليه وسلم) : لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به، ويستغني به من الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك فان اليد العليا أفضل من اليد السفلى» (٣) وقوله : «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم» (٤)

ومن آثار السنة المطهرة قوله :

ومع الصحة السقامُ وحَالُ الـ
ـعز مقرونةٌ بحال صَغَار

ليس دارُ الدنيا بدار قرار
فتزود فيها لدار القرار(٥)

فكأنه يستقي المعنى من قوله (صلى الله عليه وسلم) : اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك .. » (٦)، والبيت وهو معنى يوافق اتجاه القرآن الكريم والسنة المطهرة (٧).

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٨٢.
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الاصح مسلم .
(٤) رواه الاصح مسلم .
(٥) ديوان علي بن الجهم ص ١٤٨ .
(٦) رواه الترمذي .
(٧) راجع باب فضل الزهد في الدنيا من كتاب رياض الصالحين ص ١٧٩ .

ومن أثر الحديث النبوي ماضمنه بعض هجائه لقوم سوء لم يحسنوا مودته فقال :

حَاجيتُكـم مَنْ أبوكمْ يَابَنـي عُصُبٍ
شتـى ، ولكنمـا للعاهـر الحجرُ (١)

وقد أخذ الشطر الثاني من قوله (صلى الله عليه وسلم) : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » (٢).

وفي شعره يستخدم بعض مصطلحات أهل الحديث كالتحديث بالاسناد، وهي الطرق التي يروي بها الحديث كقوله في هجاء زعيم المعتزلة :

كـمْ مَجلـسٍ لله قـد عَطلّتـه
كي لايحـدّث فيه بالاسنـاد (٣)

ومن طريف شعره ماجاء متأثراً بالقضايا الفقهية كقوله :

ولي حبيـبٌ أبـداً مُـولـعٌ
بـزورتـي في وقـت اعـدامـي
كالصيّـد في الاحـلال لا يـرتمـي
وهـو كثيرٌ وقـت احـرام (٤)

وهو يريد بالبيت الثاني : كثرة الصيد غير النافع وقت الاحرام لعدم جواز صيده .

الالتزام في شعر علي بن الجهم :

يعتبر مفهوم الالتزام في الشعر من المفاهيم النقدية الحديثة التي برزت في الآداب الغربية . لكننا نجد اصول هذا المفهوم مرتبطة بمفهوم المسؤولية في الاسلام خلال أي القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة . والقواعد الاسلامية العامة (٥).

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٣٣ .
(٢) رواه الامام البخاري .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٢٨ وراجع ص ١١.
(٤) ديوان علي بن الجهم ص ١٨٢ .
(٥) راجع التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول ص ٥٨٣ .

وقد صدر كثير من الشعراء عن هذا المفهوم في العصر الاسلامي والاموي والعباسي .. ونلمح آثار هذا الالتزام في شعر العصر العباسي الأول خلال شعر المذاهب الاسلامية الذي اتخذ اصحابه موقفاً واضحاً تجاه الخلافة . وقد تخصص بعض الشعراء والتزموا بهذا الاتجاه بالتعبير عن اتجاههم . كما ظهر ذلك لدى شعراء المذهب العباسي والشيعي . والمعتزلة واهل السنه .. وكان شعر الجهاد من صور الالتزام الصادقة إذ عبر عن مشاركة الشعراء الوجدانية بتسجيل الانتصارات ضد الروم في الخارج ، وضد الحركات المنحرفة في الداخل . وكأن الشعراء يقاتلون في ميادين القتال .. وتمثل الالتزام في شعر الاخلاق والآداب الاسلامية في مواقف الشعراء تجاه القيم والمثل الخلقية الرفيعة بالاعتداد بها والدعوة لها (١)

وقد برز معنى الالتزام لدى شاعرنا علي بن الجهم . وكأننا به الشاعر الملتزم — كما يعبر النقاد المعاصرون — فقد انطلق مدافعاً عن القضايا المذهبية بايمان وقناعة وحماسة وشجاعة . وآية ذلك ثباته على موقفه على اختلاف الظروف وتغيرها ، ووفائه لمبدئه بالرغم من العقبات والمعوقات التي دفع ثمنها باهظاً . حيث نالته ألسنة الشعراء بالهجاء — كما ينقل الحميدي عنه — حيث يقول : « وقد أكثر الشعراء من هجائه لانحرافه عن أهل البيت »(٢).

ولم يكن ابن الجهم متكسباً مستجدياً في شعره . بل عبر عن اعجابه واكباره للخليفة . وجعل مديحه مقابل احسان الخليفة عليه ..

ومن ناحية أخرى لم يكن اعتزاز الشاعر بالتسنن — عهد المتوكل — موقفاً عرضياً يتفق مع سياسة الخلافة — بل موقفاً ثابتاً اصيلا امتدادا لموقفه السابق . وهو يصدر في ذلك عن ايمان وقناعة . ملتزماً بالاتجاه والمذهب الذي رسمه — مما سبقت الاشارة اليه — لذلك لم يتوان عن هجاء رؤوس الاعتزال ، وان كانت الظروف صعبة لاتعين على ذلك . وهو في ثباته على المذهب بين الشعراء

(١) راجع التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول ص ٥٨٥.
(٢) الإبانة ص ١٨٩ .

أشبه بثبات الامام احمد بن حنبل بين الفقهاء.

ونجد روح الاخلاق والآداب الاسلامية مهيمنة على ديوان الشاعر ، ونلحظه يبدو من خلالها بين آن وآخر ، ويطل علينا ضمن أغراضه الشعرية كلها ، ولا عجب أن يوافق قوله سلوكه فقد كان — كما سبق — مثلا صالحاً وقدوة حسنة.. فحرصه — على التمسك بالاخلاق — كبير وان كان ذلك أمراً شاقاً بالغ الصعوبة :

ولم تَـدعِ الحيـاء لمَـسٌ ضُـــر
وبَعضُ الضُـر يذهب بالحياء (١)

وهو يظهر التأثم من الحرام — خوف الوقوع فيه ، فيجتنب شرب الخمر ويقول :

وإياكمـا والخَـمـر لاتقـربانهـا
كفـى عِـوَضـاً عنها الشراب المعسلُ (٢)

وقد رضي الشاعر بالسجن مقاماً واستهان به واستعلى عليه حفاظاً على حرمة نفسه ، وعزتها ومنعتها .. ووجدنا في نفسه الكبيرة رغبة عالية في تلبية داعي الجهاد للقتال في الثغور — حين دعا الأمر الى ذلك — وقد وافته منيته وهو بهذا العزم وعلى هذه النية الصالحة.

ولا يعنى تحقق الالتزام لدى الشاعر تجرده عما يخل بهذا المفهوم تمام التجرد لان طبيعة الحياة العباسية وظروف الشاعر الخاصة لم تدعه على حاله ، ومن أجل ذلك تنكب الطريق السوي ردحاً من زمن فتوته خاصة وهو يتقلب في بلاط الخليفة ، وبعد استرداد حريته التي ضاعت طويلا ، فأقبل على لذات الحياة معوضاً عما فاته ، ولكن المهم أن حياة الشاعر في جملتها ، وأغراضه الشعرية الخاصة والعامة تعكس اتجاهاً واحداً لدى الشاعر . وتبرز التزامه للفكرة والمبدأ الذي آمن به وجاهد من اجله ، وهو الاسلام .

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٨٣.

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٧٠ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .. والسنة المشرفة .
- الابانة عن مساوىء المتنبي : العميدي .
- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري : د. محمد مصطفى هدارة ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣م .
- الأغاني : أبو الفرج الاصبهاني : ط مصورة عن دار الكتب بالقاهرة دون تاريخ .
- البداية والنهاية : ابن كثيرة سنة ٧٧٤ ط مكتبة المعارف بيروت. النصر بالرياض سنة ١٩٦٦م .
- تاريخ بغداد الخطيب البغدادي سنة ٤٦٣هـ ط السعادة : الخانجي بمصر سنة ١٩٣١م .
- تاريخ الطبري (الرسل والملوك) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨ .
- ديوان علي بن الجهم تحقيق الاستاذ خليل مردم بك ط٢ لجنة التراث العربي بيروت لبنان دون تاريخ .
- شعر مروان بن ابي حفصة : جمعه وحققه د. حسين عطوان ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣ .
- طبقات الحنابلة : محمد بن أبي يعلى ت سنة ٥٢٧هـ تحقيق محمد حامد فقي ط السنة المحمودية بالقاهرة .
- طبقات الشعراء لابن المعتز سنة ٢٩٦هـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦م .
- العصر العباسي الأول : د. شوقي ضيف ط٤ دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦م .

ـ علي بن الجهم حياته وشعره : د. عبد الرحمن الباشا ط دار المعارف بمصر .
ـ العمدة لابن رشيق القيرواني سنة ٤٥٦ ط٢ المكتبة التجارية الكبرى مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٥م .
ـ الكامل لابن الاثير سنة ٦٣٠هـ ط دار الكتاب اللبناني بيروت سنة ١٩٦٧م.
ـ مروج الذهب : المسعودي سنة ٣٤٦هـ تحقيق محي الدين عبد الحميد ط التحرير، بالقاهرة سنة ١٩٦٧م .
ـ معجم الشعراء : المرزباني سنة ٣٨٤هـ ط القدسي، القاهرة سنة ١٣٥٤هـ.
ـ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي. ونسك. ط
ـ المنهج الاحمد في تراجم أصحاب الامام أحمد : مجير الدين العلمي سنة ٩١٨ تحقيق د. محمد محي الدين عبد الحميد .ط المدني القاهرة سنة ١٩٦٣م .
ـ الموشح، المرزباني سنة ٣٨٤هـ تحقيق علي البجاوي ط دار نهضة مصر سنة ١٩٦٥م .
ـ وفيات الاعيان : ابن خلكان سنة ٦٨١ تحقيق إحسان عباس ط بيروت